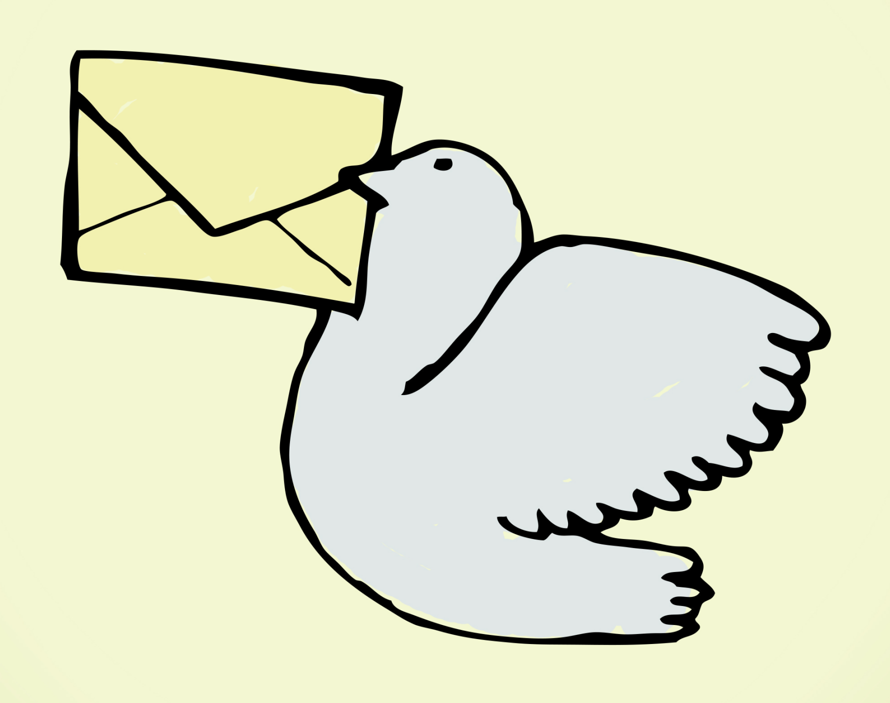
پیام مشرق



محمد إقبال

پیام مشرق

پیام مشرق

تأليف
محمد إقبال

ترجمة
عبد الوهاب عزام



Payam-i-Mashriq

Muhammad Iqbal

پيام مشرق

محمد إقبال

رقم إيداع ٢٠١٣/١٥٦٢٤
تدمك: ٦ ٣٧٢ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات للترجمة والنشر

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.kalimat.org

الغلاف: تصميم إسلام الشيمي.

المحتويات

مقدمة المترجم

سمعت أول ما سمعت بمحمد إقبال وأنا في لندن قبل عشرين عامًا. سمعت كلامًا مبهمًا موجزًا عن شاعر صوفي في الهند اسمه إقبال، لم يُعرفني هذا الكلام بإقبال، ولم يشوِّقْني كثيرًا إلى معرفته.

وأذكر أن شابًّا من مسلمي الهند تكلم يومًا عن إقبال في مدرسة الدراسات الشرقية من لندن، ولكن لهجته وعجلته في الكلام، وغموض الموضوع، حالت دون أن نعرف إقبالًا من كلامه.

وأتذكر أن أستاذنا سير دنسن روس قال لي بعد المحاضرة إنه لم يدرك منها شيئًا.

ومرت الأيام مرورها، ولا أدري كم طوت من السنين قبل أن أطلع على شعر إقبال.

وكان محمد عاكف — رحمه الله — الشاعر الكبير، الذي يسمى في تركيا شاعر الإسلام، صديقًا لي وكنا نقيم في مدينة حلوان، فنلتقي بين يوم وآخر، ولا يمر أسبوع دون اللقاء مرة أو أكثر.

وكنا حين نلتقي نتذاكر الأداب العربية والفارسية والتركية، وأقرأ عليه شعره أحيانًا.

وذات يوم أراني ديوانًا اسمه «پيام مشرق» للشاعر محمد إقبال، فقرأنا معًا فكان أول شعر لإقبال قرأت، راقني الشعر وشاقني إلى الاستزادة منه؛ إذ رأيت ضربًا من الشعر عجيبًا، يُذَكِّر بحافظ الشيرازي وشعراء آخرين من الصوفية، ولكن فيه ما لم نعهد في شعر هؤلاء من فلسفة يصورها الشعر نورًا ونارًا في عين القارئ وقلبه.

ورأى شاعر الإسلام شغفي بالكتاب، فأعارني إياه، رحم الله حافظًا الشيرازي يقول:

چو شوقم ديد در شاغر مي أفزود

فكان الكتاب عارية لم تسترد، فلا تزال النسخة عندي ذكرى لأول قراءة في شعر إقبال، وتذكارًا للصديق محمد عاكف، وعلى حواشي الكتاب كلمات لعاكف في مواضع إعجابه من شعر إقبال.

ثم أهداني أحد معارفي من مسلمي الهند المقيمين في القاهرة المنظومتين «أسرار خودي» و«رموز بي خودي»، فقرأتهما قراءة المشوق المترقب والوارد الظمآن، وزدت إكبارًا لإقبال، ومعرفة به، وحبًّا له.

وشرعت أحدِّث الناس عن إقبال في مجالسي وفي مجلة الرسالة وأحاضر في شعره.

وعرف الناس حبي إقبالًا وتشوقي إلى كتبه، فأرسل إليَّ من يعرفني ما عنده من دواوين إقبال، حتى أَهدَى إليَّ صديق في مكة منظومتي إقبال «مسافر» والمنظومة التي عنوانها «پس چه بايد كرد».

ومر إقبال بالقاهرة في طريقه إلى المؤتمر الإسلامي ببيت المقدس، فاحتفلت به جمعية الشبان المسلمين، وحضرت الحفلة، فكلفني أستاذي الشيخ عبد الوهاب النجار — رحمه الله — أن أُعرِّف الحاضرين بالضيف الكريم، فتكلمت وأنشدت أبياتًا من شعر إقبال، أَحْسَبها أول ما سُمع من شعره في بلاد العرب، ومما أنشدت:

أي كه در مدرسه چوئي أدب ودانش وذوق
نه خورد باده كس إز كارگه شيشه گران
خرد أفزود مرا درس حكيمان فرنگ
سينه أفروخت مرا صحبت صاحب نظران
بركش اين نغمه كه سرمايۀ آب وگل تست
أي زخود رفنه تهي شو زنو أي دگران

ومما أذكر من ذكريات إقبال أن الأستاذ توماس أرنولد قدم القاهرة ليحاضر في التاريخ الإسلامي. وكان لي به معرفة قديمة. وكانت بيننا مودة، وقد أقام في حلوان حيث أقيم، فكنت أصحبه كثيرًا في ذهابه إلى جامعة فؤاد وعودته.

وقد ذكرنا إقبالًا ليلة ونحن نسير في حلوان، فقال: هو تلميذي. قلت: إذن هو شاب. قال: أتظنه شابًّا لأنه تلميذي! أنت لا تدري ما سني. فضحكنا ولم أسأله ما سنه.

ولما توفي إقبال دعيت إلى بيت المقدس لأذيع حديثًا عنه، فتحدثت في سيرته وشعره، وقلت: إن شاعر الإسلام العظيم جدير أن ينعى إلى المسلمين جميعًا من بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى.

واحتفلنا بتأبينه في جماعة الإخوة الإسلامية في القاهرة، وأنشدت قصيدة ترجمتها من ديوان بانك درا، ومما قلت في هذا الاحتفال:

في اليوم الحادي والعشرين من أبريل (سنة ١٩٣٨) والساعة خمس من الصباح، في مدينة لاهور مات رجل كان على هذه الأرض عالمًا روحيًّا، يحاول أن ينشئ الناس نشأة أخرى، ويسن لهم في الحياة سنة جديدة، وسكن فكر جوال جمع ما شاءت له قدرته من معارف الشرق والغرب، ثم نقدها غير مستأسر لما يؤثر من مذاهب الفلاسفة، ولا مستكين لما يروى من أقوال العظماء، ووقف قلب كبير كان يحاول أن يصوغ الأمة الإسلامية من كل ما وعى التاريخ من مآثر الأبطال وأعمال العظماء، وقرت نفس حرة لا يحدها زمان ولا مكان، ولا يأسرها ماض ولا حاضر، فهي طليقة بين الأزل والأبد، خفاقة في ملكوت الله الذي لا يُحد.

مات محمد إقبال الفيلسوف الشاعر، الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين وللبشر جميعًا — الرجل الذي كان يخيل إليَّ وأنا في نشوة شعره أنه أعظم من أن يموت، وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجثماني — فاضت روح الرجل الكبير المحبوب في داره بلاهور ورأسه في حجر خادمه القديم «ألهي بخش» وهو يقول: إني لا أرهب الموت، أنا مسلم أستقبل المنية راضيًا مسرورًا.

كنت أقرأ كلام إقبال في الحياة والموت، وأرى استهانته بالحِمام واستهزاءه بالذين يرهبونه. وما كان هذا خدعة الخيال، ولا زخرف الشعر؛ فقد صدق إقبال دعوته في نفسه حين لقي الموت باسمًا راضيًا، جد المرض بإقبال، وكان يقترب إلى الموت وهو متقد الفكر، قوي القلب، يصوغ عقلُه كلمات يوقظ بها النفوس النائمة، وينثر قلبه شرارًا يشعل به القلوب الهامدة. وكان يُعنَى بنظم كتابه «أرمغان حجاز»: هدية الحجاز. وكان قلب الشاعر يهفو إلى الحجاز، وقد تمنى في خاتمة كتابه «رموز بي خودي» أن يموت في الحجاز، ومما نظمه في أشهره الأخيرة:

آية المؤمن أن يلقى الردَى   باسم الثغر سرورًا ورضا

وقد أنشد هذين البيتين قبل الموت بعشر دقائق، وهما مما أنشأه أخيرًا:

نغمات مضين لي، هل تعود — ونسيم من الحجاز سعيد
آذنت عيشتي بوشك رحيل — هل لعلم الأسرار قلب جديد

ولما قدمت الهند سنة ١٩٤٧م، قبل قيام دولة باكستان بأربعة أشهر، سافرت من دهلي إلى لاهور لزيارة ضريح إقبال وداره، ورؤية أولاده، واتفق أن كان ذهابي إلى لاهور قبل ذكرى وفاته بأيام قليلة. وكان احتفال بي وبوفد إيراني رئيسه الصديق علي أصغر حكمت عند ضريح إقبال، وألقيت هناك كلمة عربية تنشر في رحلاتي الثانية، وأنشأت في دهلي أبياتًا عربية نقشت في لوح من الرخام، وحملتها إلى لاهور لتوضع عند قبر إقبال. وقد وعد أوصياء إقبال أن يضعوها في جدار حجرة الضريح حين يتم بناؤها وهذه هي الأبيات:

عربي يهدي لروضك زهرًا — ذا فخار بروضه واعتزاز
كلمات تضمنت كل معنى — من ديار الإسلام في إيجاز
بلسان القرآن خطت ففيها — نفحات التنزيل والإعجاز
فاقبلَنْها على ضآلة قدري — فهْي في الحق «أرمغان الحجاز»

ترجمة شعر إقبال

عنيت بترجمة شعر إقبال نظمًا ونثرًا، وبنشر ما أترجم منه منذ قرأت هذا الشعر، وحرصت على تعريف قراء العربية بهذا الشاعر العظيم والفيلسوف المسلم. ترجمت من «پیام مشرق» و«أسرار خودي» «ورموز بي خودي» «وبانك درا».

ولما قرأت قصته المنظومة «جاويد نامه» بدا لي أن أترجمها كلها فلم أفرغ، لها ولبثت أرتقب فرصة لتحقيق هذه الأمنية.

وبينما أنا في الحجاز وزيرًا لمصر في المملكة العربية السعودية، جاءتني رسالة من الدكتور اشتياق حسين قريشي — أحد وزراء باكستان اليوم — يقترح عليَّ ترجمة أحد دواوين إقبال، وكنت عَرَفَت معالي الوزير في دهلي قبيل قيام باكستان فتزاورنا وائتلفنا، وقد أجبت رسالته بأني على نية أن أترجم جاويد نامه.

ثم قدمت باكستان سفيرًا، فتحدث الناس عني وعن ترجمتي شعر إقبال، وأحاطني وحي إقبال في بلاده، فمضيت في ترجمة جاويد نامه. ثم بدا لي أن هذه القصة المنظومة الطويلة ليست أولى دواوين إقبال بأن تُعرف به قراء العربية. وبدا لي أن أبدأ بديوانه پيام مشرق؛ لأن به ألوانًا من الرباعيات والقصائد والقطع في موضوعات شتى وأساليب مختلفة، وكأنما كان هذا وحيًا، فأخذتُ أترجم الرباعيات، وهي القسم الأول من الديوان، فتيسر لي النظم، فأقبلت عليه فازداد يسرًا، فانشرح صدري وأسرع قلمي فيه، وصارت الترجمة سرورًا وأنسًا لا يصد عنها شغل ولا تعب. وضعت الكتاب في حجرة النوم في متناول اليد من مرقدي، فكنت أترجم قبل النوم وحين أستيقظ صبحًا، وقلَّ أن يمضي يوم دون ترجمة، وكنت إذا انصرفت إلى عمل آخر علق بنفسي البيت والبيتان من شعر إقبال، فلا أستريح حتى أترجم ما علق بنفسي، وكنت أحيانًا يدركني التعب فأصرف نفسي عن الترجمة فلا تنصرف، فأحتال حتى أصرفها عنها لأستريح.

ولما فرغت من الرباعيات، وكنت أحسبها أيسر من غيرها، نظرت في القسم الثاني وهو الافتكار، فاطردت الترجمة وأسلست أكثر مما أسلست في الرباعيات. كنت آخذ البيت الأول من القصيدة فأقلبه على أوزان وقواف حتى يستقيم لي وزن وقافية، فكأنما وجدت سلكًا لنظم در لا يكلفني نظمه إلا أن أسلك واحدة بعد أخرى. والحمد لله الملهم.

وكنت بين الحين والحين أترك پيام مشرق إلى منظومتي اللمعات فأنظم فيها حرصًا على أن أنشرها مع الديوان، فما ختمت پيام مشرق حتى بلغت فيها حدًّا يمهد لختمها. وكان هذا توفيقًا آخر.

وهكذا مضيت في الكتاب مهتديًا بالحديث الكريم «وكان أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.» حتى فرغت منه في أواخر شهر آذار بعد ثلاثة أشهر من بدأ الترجمة.

كتب إقبال

لإقبال تسعة دواوين وكتب أخرى — انظرها مرتبة على تواريخها.

الشعر

أسرار خودي	بالفارسية	نشر سنة ١٩١٥م
رموز بي خودي	بالفارسية	نشر سنة ١٩١٨م

پيام مشرق	بالفارسية	نشر سنة ١٩٢٣م
بانك درا	بالأردية	نشر سنة ١٩٢٤م
زبور عجم	بالفارسية	نشر سنة ١٩٢٩م
جاويد نامه	بالفارسية	نشر سنة ١٩٣٢م
مسافر	بالفارسية	نشر سنة ١٩٣٤م
بال جبريل	بالأردية	نشر سنة ١٩٣٥م
پس چه بايد كرد	بالفارسية	نشر سنة ١٩٣٦م
(نظمها حينما أغارت إيطاليا على الحبشة)		
ضرب كليم	بالأردية	نشر سنة ١٩٣٧م
أرمغان حجاز	بالفارسية والأردية	نشر بعد وفاته

الكتب الأخرى

- علم الاقتصاد بالأردية نشر سنة ١٩٠١م.

The Development of Metaphisies in Persia.

- تطور ما بعد الطبيعة في بلاد الفرس نشر سنة ١٩٠٨م.

The Reconstruction of Religious Thought in Islam.

- إصلاح الأفكار الدينية في الإسلام ١٩٣٤م.
- رسائل إقبال إلى محمد علي جناح بالأردية نشر سنة ١٩٤٤م.
- خطب إقبال وبياناته نشر سنة ١٩٤٤م.
- رسائل إقبال بالأردية.

بعض هذه الدواوين منظومة واحدة ذات فصول في بحر الرمل والقافية المزدوجة، مثل: جاويد نامه، وأسرار خودي، ورموز بي خودي، وبعضها في دواوين جامعة منظومات كثيرة.

ولا تتسع هذه المقدمة لتفصيل الكلام في منظومات إقبال وبيان مزايا كل منها وتطور أفكاره فيها.

پيام مشرق وترجمته

يرى القارئ الديوان مقسمًا خمسة أقسام: شقائق الطور، والأفكار، والخمر الباقية، ونقش الإفرنج، والدقائق.

القسم الأول رباعيات، والثاني أفكار شتى في صور من الوزن والقافية مختلفات، وهو أعظم أقسام الكتاب قيمة. والثالث الخمر الباقية، وهي قصائد من الضرب الذي يسمى في الفارسية غزليات. وقد سار الشاعر فيها على طريقة حافظ الشيرازي وأمثاله في عرض أفكار دقيقة في صور شعرية جميلة يغلب فيها الرمز.

والكتاب كله معان وصور يعرفها من أَلِفَ الشعر الفارسي والأشعار الإسلامية المتصلة به، ويدرك كثيرًا من مراميها ويأنس إلى عباراتها أكثر مما يدرك قارئ العربية، يقول إقبال في غزل من الخمر الباقية:

غاية الإفصاح رمز وكنى فلغى الخلوة رمز بعبر

ثم في پيام مشرق معان أخرى وصور يختص بها إقبال متصلة بفلسفته ولا بد من الإلمام بهذه الفلسفة لإدراكها، ثم في بعض الأبيات لا تتضح مقاصد إقبال وضوحًا يسكن إليه القارئ، وكان همي في هذه الأبيات أن أنقل الكلام كما هو لأجعل قارئ العربية يحس ما يحسه قارئ الأصل، ويفكر كما يفكر، ويلقى من الغموض ما يلقى.

وطريقتي في الترجمة أن أحافظ على المعاني الأصلية والصور التي تبرز فيها، بل على أوزان الشعر وأسلوب التقفية جهد الطاقة.

ولا ريب أن بعض العبارات المألوفة في لغة تعد مستغربة بل مضحكة إن نقلت كما هي إلى لغة أخرى. وعلى المترجم أن يتصرف في هذه العبارات. سمعت مرة من الشاعر محمد عاكف — رحمه الله — أن المترجم ينبغي له أن يترجم الجمل بالفرس أحيانًا. والتجارب تصدق هذا.

وخير طريقة في الترجمة، كما هدتني التجربة، أن يقدر المترجم أن المعاني التي يعالجها قد ألهمها هو، ثم ينظر إلى طريقة التعبير التي اتخذها المترجم له وطرائق التعبير في اللغة التي يترجم إليها، فيتخذ الصور التي اختارها المؤلف إلا أن تقتضي لغة الترجمة تغييرًا أو تبديلًا. ولا بأس أن يتصرف كذلك بالإطناب أو الإيجاز استجابة

لمقتضى الحال في اللغة التي يترجم إليها والناس الذي يترجم لهم. ومقياس التصرف في هذا أن يتبين المترجم أن تصرفه ليس بعيدًا مما عرف من مذهب المؤلف ومن مقصده في موضع التصرف، وأن المؤلف لو عرض له هذا التصرف حين التأليف أو عرض عليه بعد التأليف لم ينفر منه.

ومن اللطائف في هذا أنني حينما قدمت رسالتي عن الفردوسي والشاهنامه إلى جامعة فؤاد الأول، وجلت للمناقشة فيها، سألني معالي الدكتور طه حسين باشا — وكان عميد كلية الآداب ورئيس لجنة الامتحان — عن هذا البيت مما ترجمته في بكاء أم سهراب على ولدها:

وتذري على الخد دمع الدم وتكبو وتنهض في المأتم

قال: هل كلمة المأتم في الأصل؟ قلت: لا. قال: دعتك إليها الضرورة، قلت ضاحكًا: لعل الفردوسي حذفها للضرورة! وهذا كلام لا يبعد عند التأمل.

الأوزان والقوافي

أخذ الفرس الأوزان العربية لشعرهم وتصرفوا بها فزادوا في التفعيلات. فالرمل عندهم يكون ثُمانيًّا وهو في العربية لا يزيد على ست تفعيلات، والهزج يكون عندهم سداسيًّا وثمانيًّا، وهو في العربية رباعي حتمًا.

والأوزان القليلة في العربية مثل المجتث والمقتضب لا تزيد في العربية على أربع تفعيلات وتبلغ ثمانيًا في الفارسية، فالشطر في الفارسية يساوي بيتًا في العربية. ومن الأمثلة الواضحة في هذه الشطور العربية التي تأتي في الشعر الفارسي كقول حافظ الشيرازي:

ألا يا أيها الساقي أدر كأسًا وناولها

هذا شطر في الفارسية وهو بيت كامل في العربية.

والأبيات في الفارسية كالأبيات في العربية مبنية على استقلال كل بيت عما بعده. فلا يجمل ترجمة بعض بيت وآخر في بيت واحد. وقد تصرفت في هذه المشكلة بأن ترجمت أحيانًا البيت الثماني في الفارسية بسداسي في العربية. على ما في هذا من عسر، وأحيانًا

ترجمت الشطر ببيت مجزوء، فقابلت الشطر الذي فيه أربع تفعيلات في الرمل مثلًا ببيت مجزوء فيه أربع تفعيلات كذلك.

وللتمثيل نظمت قصيدتين وقطعة على الأوزان الفارسية يجدها القارئ في الصفحات، ثم القافية المردوفة كثيرة في الشعر الفارسي وشعر إقبال، وفي الترجمة كررت كلمات الردف في أول البيت لا في آخره بلفظها أو معناها وللتمثيل ردفت القافية فيما ترجمت على الأوزان الفارسية.

فلسفة إقبال

لا يتسع المقام والوقت للكلام في فلسفة إقبال، ولكن لا بد من كلمات قليلة تعين القارئ على إدراك مقاصد الشاعر:

(١) لإقبال مذهب سماه الذاتية (خودي)، وشرحه في كتابه «أسرار خودي»، وخلاصته أن الذاتية أساس الحياة؛ فالله تعالى ذات، والإنسان ذات، وحياة الإنسان تتجلى في هذه الذاتية، فعلى الإنسان أن ينظر إلى فطرته ويستخرج كل ما فيها، ولا يؤمن إقبال بوحدة الوجود التي تنافي الذاتية.

(٢) وأن الاستقلال في الفكر والابتكار يبين عن الذاتية والتقليد يضعفها أو يميتها.

(٣) وأن الشدائد والمحن في هذه الحياة تقوي الذاتية. والآلام واللذات يكمل بعضها بعضًا. انظر أبياته عن شوبنهور ونيتشا ص١١٧، «بل الجنة» ينقص لذتها فقد الألم والهم فيها. انظر ص٧٦ وأن الإنسان حر مختار يتوهم أنه مجبر:

فقم إن كنت في ريب وأقدم تجد للرجْل في الدنيا مجالًا

وهو في هذا كشيخه جلال الدين الرومي.

(٤) العقل والقلب والعشق: يجد القارئ هذه الكلمات مكررة في شعر إقبال، وهو كجلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار، وكثير من الصوفية؛ لا يعول على العقل كثيرًا، وإنما يعول على القلب أو العشق، وقد ضمن قصيدة له بيت جلال الدين:

في طريق العشق بالعقل يسار　　بسراج تبتغي شمس النهار

وانظر قصيدته في أول نقش الإفرنج: والعقل عند الصوفية عاجز جبان لا يدرك الحقائق الكبرى، ولكن يتصرف في الجزئيات والقلب موطن العشق. وقد بينت رأي العطار في العقل والعشق، وهو رأي شائع بين الصوفية في كتابي «التصوف وفريد الدين العطار» فليرجع إليه من يشاء. على أن العطار وغيره يكبرون العقل حين يصحب العشق أو يفنى فيه. يقول إقبال في رسالة بركسون ص١٢٣: وما صورته وهم فأعدد لعقل شب في أدب القلوب. ويقول في صفحة ١١٠.

حبذا عقل فسيح　　قد أحاط العالمين
نور أملاك ونار الـ　　أنس فيه دون مين

وانظر محاورة العلم والعشق ص٣٤.

(٥) ولإقبال من الحيوان والنبات عرائس شعرية يولع بها لتمثيل فلسفته: الصقر لقوته، وتحليقه، ونفوره من الهبوط إلى الأرض. وعيشه منفردًا معتمدًا على نفسه مثل عال للذاتية، انظر وصية الصقر لفرخِه ص٤٠.

والشقائق مثال للاحتراق، أوراقها لهيب، والسواد في قلبها وسمة كيٍّ، انظر الشقيقة ص٤٣.

واليراعة تمثل فلسفته؛ لأنها تضيء لنفسها. انظر ص٤٠ و٥١.

وقطرة الندى تمثل الروح تأتي من عالم الغيب. انظر قطرة الندى ص٥٤ والعشق ص٧٨.

سيرة إقبال

ولعل القارئ، بعد هذه المقدمة يقول: لم تذكر شيئًا من سيرة الشاعر! وجوابي أن سيرة إقبال أعظم من أن تحويها صفحات قليلة في هذه المقدمة، وقد فُصلت في كتب أخرى.

ولا أحرم القارئ من هذه الحدود في تاريخ إقبال العظيم، وهي من رسالة نشرتها جماعة إقبال:

ولد في سيالكوت	سنة ١٨٧٣
ذهب إلى لاهور لإكمال دراسته	سنة ١٨٩٠
نال درجة .B. A	سنة ١٨٩٧
نال درجة .M. A	سنة ١٨٩٩
ذهب للتحصيل في لندن سنة	سنة ١٩٠٥
نال درجة دكتور في الفلسفة من جامعة ميونيخ	سنة ١٩٠٨
رجع من لندن فعمل محاميًا في لاهور	سنة ١٩٠٨
انتخب عضوًا في الجمعية التشريعية في بنجاب	سنة ١٩٤٧
انتخب رئيس الرابطة الإسلامية	سنة ١٩٣٠
ذهب إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن	سنة ١٩٣١
وإلى المؤتمر الإسلامي في بيت المقدس	سنة ١٩٣٢

نشر الكتاب

أشكر لجماعة إقبال ورئيسها معالي الدكتور نذير أحمد تطوعهم لنشر الكتاب وتيسيرهم كل عسير لإخراجه قبل ذكرى إقبال الثالثة عشرة، ولا أنسى الأديب سيد عبد الواحد سكرتير الجماعة ومؤلف كتاب إقبال بالإنكليزية. فقد والى زيارتي أثناء طبع الكتاب، وأدى كل ما كُلف به.

حرصنا على أن ننشر ترجمة پيام مشرق قبل الحادي والعشرين من نيسان، يوم وفاة إقبال، فكان حتمًا علينا الفراغ من الترجمة والطبع في زمن قصير، وكان علينا أن نكمل نقص الزمن بالجد والجهد، وقد لقينا عناء من عمال المطابع؛ فهم لا يعرفون العربية فتكثر أغلاطهم، وكان على الأستاذ عبد المنعم العدوي صاحب مطبعة العرب أن يكتب كل صفحة من الكتاب بخط واضح ييسر للعمال جمع الحروف، وزاد الأمر مشقة أنني حرصت على شكل بعض الحروف ولم تستعمل المطبعة الشكل من قبل.

شق علينا العمل ولكن هونه فرحنا بإخراج كتاب لإقبال في لغة العرب، وكان لعمل الأستاذ عبد المنعم العدوي وجده ودأبه ليل نهار وإخلاصه وتواضعه ما يسر هذا العمل

الشاق في هذا الوقت الضيق فاستحق شكري وإعجابي، وثناء جماعة إقبال، والحمد لله ولي التوفيق والتيسير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كراچي عشية السبت ثامن رجب ١٣٧٠هـ/١٤ نيسان ١٩٥١م

مقدمة

كتب الشاعر هذه المقدمة باللغة الأردية

نظمت پيام مشرق لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني گوته الذي يقول فيه الشاعر الألماني الإسرائيلي هاينا: «هذه باقة من العقائد يرسلها المغرب إلى المشرق، ويتبين من هذا الديوان أن المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة، فتطلع إلى الاقتباس من صدر المشرق.»

ما المؤثرات وما الأحوال التي كتب فيها گوته هذه المجموعة من الأشعار التي هي أحسن آثاره والتي سماها هو باسم «الديوان».

لابد لإجابة هذا السؤال أن نبين إجمالًا هذا التأثير الذي سُمي في تاريخ الأدب الألماني التأثير الشرقي. وددت أن أفصِّل في هذه المقدمة الكلام في هذا التأثير، ولكن المراجع الكثيرة التي يحتاج إليها في هذا البحث لم تتيسر في الهند، وقد بين پال هورن، مؤلف تاريخ آداب إيران، في مقال له مقدار ما كان گوته مديناً لشعراء الفرس، ولكن العدد المشتمل على هذا المقال من مجلة ناروإندسود لم يمكن الحصول عليه في خزانة كتب في الهند ولا من ألمانيا، فلا مناص من أن أعتمد في كتابة هذه المقدمة على ما أذكر من دراستي السابقة، وعلى الرسالة المختصرة المفيدة البارعة التي كتبها في هذا الموضوع مستر شارلس ريمي.

كانت طبيعة گوته المتطلعة تميل منذ الحداثة نحو الأفكار الشرقية، وفي استراسبورج حيث كان يتعلم القانون لقي هردر ذا المكانة والصيت في الأدب الألماني. ويعترف گوته في سوانحه بما تركت صحبة هردر في نفسه.

لم يكن هردر يعرف الفارسية، ولكن لغلبة النزعة الأخلاقية عليه، كان لكتب سعدي أثر بليغ في نفسه، حتى ترجم بعض فصول گلستان إلى اللغة الألمانية. ولم يكن لحافظ الشيرازي هذه المكانة عنده، وهو يقول داعيًا معاصريه: قد غنينا كثيرًا على أسلوب حافظ، وقد وجب الآن أن نقتدي بسعدي، ولكن مع حبِّ هردر الآدابَ الشرقية هذا الحب لا يعرف في شعره أو مؤلفاته الأخرى أثر من هذه الآداب، وكذلك كان شلر، معاصر گوته الثاني، بعيدًا عن تأثير الشرقيين. وقد مات قبل ظهور التأثير الشرقي وينبغي ألا نغفل عن هذه المسألة: أن قصته «توران دخت» أخذت خطتها من قصة بنت سلطان الإقليم الرابع التي كتبها نظامي الكنجوي في «هفت پيكر» واستهلها بقوله:

گفت كز جمله ولايت روس
بود شهري بنيكوئي چو عروس

وسنة ١٨١٢ نشر فون همر ترجمة كاملة لديوان حافظ؛ وبهذه الترجمة ابتدأ التأثير الشرقي في آداب الألمان، وكان عمر گوته إذ ذاك خمسًا وستين سنة، وكان هذا على حين بلغ انحطاط الألمان غايته في كل ناحية، لم تكن طبيعة گوته مهيأة للمشاركة عملًا في الحركات السياسية في وطنه، فلما ضاق بالاضطراب الشائع في أوروبا، أخذت روحه القلقة المحلقة تلتمس عشًّا في فضاء الشرق الساكن الآمن.

وقد أثارت أناشيد حافظ هياجًا كبيرًا في أفكاره، فاختار آخر الأمر «للديوان الغربي» صورة متميزة ثابتة، ولكن ترجمة فون همر لم تكن مؤثرة في گوته فحسب، بل كانت مأخذًا لخيالاته العجيبة الغربية، فيبدو نظمه أحيانًا كأنه ترجمة حرة من شعر حافظ، وأحيانًا تجد قوة تخيلة في مصرع واحد مهيعًا جديدًا تنير فيه مسائل في الحياة بالغة في الدقة والصعوبة.

يقول بيل شوسكي كاتب سوانح كو المعروف: كان گوته يرى صورته في نغمات بلبل شيراز، وكان يخطر له بين الحين والحين أن روحه لبست صورة حافظ فعاشت في بلاد الشرق. فنحن نجده شبيه حافظ في ذلك السرور الأرضي، وتلك المحبة السماوية، وذلك اليسر، وذلك العمق، وذلك الغليان والتوقد، وتلك السعة في المذهب، وهذا النور القلبي، وذلك التحرر من الرسوم والقيود. بل في كل أمر حافظ لسان الغيب وترجمان الأسرار وكذلك گوته. ولحافظ عالم من المعاني في ألفاظ بسيطة في ظاهرها، وكذلك في طريقة گوته المطبوعة تتجلى الحقائق والأسرار وكلاهما نال إعجاب الأمير والصعلوك،

كلاهما أثر في فاتحي عصره العظام «يعني حافظ في تيمور وگوته في نبوليون،[1] وكلاهما في عصر اضطراب عام وخراب، حافظ على السكون والطمأنينة في قلبه مبتهجًا بالمضي في ترنمه القديم.

ثم گوته مدين في أفكاره لغير حافظ: للشيخ عطار وسعدي والفردوسي، وللأدب الإسلامي عامة، فقد كتب في بعض المواضع غزلًا في قيود القافية والرديف وهو يستعمل في لغته استعارات فارسية بغير تكلف مثل: جوهر الأشعار، وسهام الأهداب، والطرة المعقودة، بل هو في فورة الفارسية لا يحترز من الإشارة إلى الولوع بالمرد، ثم أسماء أقسام الديوان فارسية كذلك مثل: «مغني نامه – ساقي نامه – عشق نامه – تيمور نامه – حكمت نامه وغيرها» ومع هذا كله فليس هو مقلدًا أي شاعر فارسي. فطرته الشعرية حرة ولا ريب، وإنما غناؤه في مروج الشقائق المشرقية عرضي محض. وهو لا يفرط في غربيته، وإنما يقع بصره وحده على الحقائق الشرقية التي تلائم نظرته الغربية، ولم يمِل إلى التصوف العجمي قط، وكان يعلم أن أشعار حافظ تفسر في المشرق تفسيرًا صوفيًّا، ولكنه لم يكلف إلا بالغزل محضًا، ولم يهتم بالتفسير الصوفي في كلام حافظ أي اهتمام.

وكانت معارف مولانا الرومي وحقائقه الفلسفية مبهمة عنده. لا يمكن أن ينكر الرومي رجل مدح سبنوزا (فيلسوف هولندي كان يقول بوحدة الوجود) وأعمل قلمه في الدفاع عن برونو (فيلسوف إيطالي وجودي).[2]

والخلاصة أن گوته في الديوان المغربي اجتهد في إظهار الروح العجمية في الأدب الألماني.

وقد أكمل الأثر الشرقي الذي بدأ في ديوان گوته الشعراء الذين جاءوا بعده: بلاتن وروكرت وبودن ستات.

فأما بلاتن فقد تعلم الفارسية لمقاصد أدبية، ونظم غزلا في القافية المروقة، بل في العروض الفارسي، ونظم رباعيات، ونظم قصيدة في نبوليون، واستعمل الاستعارات الفارسية بغير تكلف مثل گوته: عروس الورد. والطرة المسكية، وشقائق العذار، وهو مولع بالتغزل المحض كذلك.

[1] لا تصح رواية التقاء حافظ وتيمور؛ فقد توفي الشاعر قبل أن يفتح تيمور شيراز.

[2] يعني أن الرومي كان من القائلين بوحدة الوجود فلو عرفه گوته لعُني به كما عُني بهذين الفيلسوفين.

وأما رونرت فكان ماهرًا في الألسنة الثلاثة: العربية والفارسية والسنسكريتية، وكان لفلسفة الرومي مكانة عظيمة في رأيه، وتأثير مولى الروم فيما كتب من غزل كان أوضح وكانت مصادره من الأشعار الشرقية أوسع بما عرف من لغات الشرق.

وقد التقط لآلئ الحكمة من مخزن الأسرار لنظامي وبهارستان جامي وكليات أمير خسرو، وكلستان سعدي، ومناقب العارفين، وعيار دانش، ومنطق الطير، وهفت قلزم، بل زين كلامه بقصص وروايات إيرانية ترجع إلى ما قبل الإسلام. وقد أحسن نظم بعض واقعات التاريخ الإسلامي وأشخاصه، مثل موت محمود الغزنوي وغزو محمود سومنات والسلطانة رضية[٣] وموضوعات أخرى.

وأكثر شعراء الأسلوب الشرقي قبولًا بعد گوته، بودن ستات الذي نشر منظومات بالاسم المستعار «مرزا شفيع»، وقد لقيت هذه المجموعة الصغيرة من القبول ما اقتضى طبعها مائة وأربعين مرة في مدة قصيرة. أحسن هذا الشاعر تصوير الروح العجمية حتى بقي الناس في ألمانيا زمنًا طويلًا يحسبون أشعار مرزا شفيع ترجمة شعر فارسي.

وقد استفاد بودن ستات من أمير معزي وأنوري كذلك.

ولم أرد أن أذكر في هذا الصدد هاينا معاصر گوته المشهور؛ إذ لم يكن في الجملة ذا صلة بالتأثير الشرقي، ولم يهتم بما اقتبس شعراء ألمانيا من الشعر الشرقي إلا ديوان گوته — على أن الأثر العجمي بين في مجموعته المسماة «الأشعار الجديدة»، وقد أجاد جدًّا في نظم قصة محمود والفردوسي، ولكن قلب هذا الشاعر الألماني الحر لم يستطع الإفلات من شرك سحر العجم، حتى لقد تصور نفسه مرة شاعرًا إيرانيًّا أجلي إلى ألمانيا يقول:

> يا فردوسي! يا جامي يا سعدي! إن أخاكم في سجن الغم يخفق حنينًا إلى أزهار شيراز.

ثم نذكر من مقلدي حافظ الأدنين منزلة، دومر، هرمن ستال لو شكى. ستايك، لتز، لنث هولد، وفون شاك. وهذا الأخير كان ذا منزلة عالية في العلم، ونظمه قصة إنصاف محمود الغزنوي وقصة هاروت وماروت مشهور، وأوضح الآثار في كلامه أثر عمر الخيام.

[٣] من دولة المماليك التي قامت في دهلي.

وبعد فلا بد من بحث طويل لكتابة تاريخ كامل لتأثير الشرق في الأدب الألماني، والمقابلة بين شعراء إيران وألمانيا؛ لتقدير أثر العجم تقديرًا حقًّا، ولكن لم يتيسر الوقت ولا العدة لهذا البحث، ولعل هذا البحث المختصر يثير قلب أحد الشبان للتحقيق والتدقيق في هذا الشأن.

وأما «پيام مشرق» الذي كتب بعد «الديوان الغربي» بمائة سنة فلست في حاجة إلى الإبانة عنه، فسيرى الناظرون فيه بأنفسهم أن أكثر ما يرمي إليه هو النظر في الحقائق الأخلاقية والدينية والمذهبية التي تتصل بالتربية الباطنية في الأفراد والأمم. ولا ريب أن بين ألمانيا قبل مائة سنة وأحوال الشرق الحاضرة تشابهًا ما، ولكن الحقيقة أن الاضطراب الباطن في أمم العالم — الذي لا نستطيع تقدير خطره لأننا متأثرون به — هو مقدمة انقلاب حضاري وروحاني عظيم جدًّا.

كانت الحرب العظمى التي قامت في أوروبا قيامة كادت تمحو نظام العالم القديم من كل جوانبه، وإن الفطرة لتخلق اليوم في أعماق الحياة من رماد الحضارة والثقافة إنسانًا جديدًا وتخلق عالمًا جديدًا لإقامة هذا الإنسان، عالمًا يرى هيكله غير البين في مؤلفات آين شتاين وبركسون.

لقد رأت أوروبا بعينيها النتائج المخوفة لمثلها الاقتصادية والأخلاقية والعلمية. وسمعت من سنيور نيتي «الذي كان رئيس وزراء إيطاليا» قصة «انحطاط الفرنج» المحزنة، ولكن وا أسفاه! لم يستطع عباد القديم الذين سمعوا حقائقه أن يقدروا الانقلاب المدهش الذي كان يثور في الضمير الإنساني.

وإذا نظرنا نظرة أدبية خالصة نرى أن اضمحلال قوى الإنسان بعد الحرب لا ييسر نشوء مثل روحية صحيحة ناضجة. بل يخشى أن تغلب على طبائع الناس هذه الإباحية المنهوكة الضعيفة الأعصاب، التي تفر من مصاعب الحياة، والتي لا تميز بين نزعات القلب وأفكار العقل. لا شك أن أمريكا عنصر صحيح في الحضارة الغربية فلعل هذا الإقليم خالص من قيود الروايات القديمة، ولعل وجدانه الاجتماعي يقبل راضيًا الأفكار والنزعات الجديدة.

إن الشرق، ولا سيما الشرق الإسلامي، يفتح عينه بعد نوم القرون المتطاولة. ولكن يجب على أمم الشرق أن تتبين أن الحياة لا تستطيع أن تبدل ما حولها حتى يكون تبدل في

أعماقها، وأن عالمًا جديدًا لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجي حتى يوجد في ضمائر الناس قبلًا. هذا قانون الفطرة الثابت، الذي بينه القرآن في كلمات يسيرة وبليغة: ﴿إِنَّ اللهَ لَايُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ إنه قانون يجمع جانبي الحياة كليهما: الفردي والاجتماعي. وقد اجتهدت في كتبي الفارسية أن أبين للناس صدقه، وأنه لجدير بالإكبار كل مسعى في العالم ولا سيما في بلاد الشرق، يقصد إلى أن يرفع أنظار الأفراد والجماعات فوق الحدود الجغرافية فيولد أو يجدد فيها سيرة إنسانية صحيحة قوية.

وأختم بالثناء على صديقي جودهري محمد حسين. إم. اي. فقد رتب مسودات «پيام مشرق» للطبع. ولولا احتماله هذه المشقة لكان عسى أن يتأخر نشر هذه المجموعة مدة طويلة.

إقبال

تنبيه

في الكتاب حواش للمؤلف والمترجم. وقد ميزنا حواشي المترجم بالحرف م، ولكن فاتنا هذا في أوائل الكتاب، وكل حاشية فيها بيان لفظ أو معنى هي للمترجم.

شقائق الطور

١

شـهـيدُ دلالـه حـفـل الـوجـود وكل الـكـائـنـات مـن الـسـجـود[1]
ألـم تـر أن شـمـس الأفْـق لاحت بوجه الصبح من أثر السجود؟

٢

بـقـلـبـي مـن تَـحَـرُّقـه ضـيـاءُ ويجلو النورَ في عيني البكاءُ
فـزاد مـن الـحـيـاة نـوى غـبـي يقول: الـعـشـق مس أو هـراء

٣

نسيم العشق في الجنات جارِ ويُنمي العشقُ أزهار البراري
ويـخـتـرق الـبـحـارَ لـه شـعـاعٌ فيهدي العشقُ حيتان البحار

---

[1] جمع ساجد.

٥

رموز العشق في ورق الشقائقْ وغمٌّ العشق في رُوح الخلائق
وإن تصدعْ طباقَ الأرض تبصرْ نصيب العشق من دمِ كل عاشق

٦

وما كلٌّ له في الحب كِفل وما كل الوَرَى للحب أهلُ
على ورق الشقائق وسْمُ غمٍّ ويخلو من شَرَارِ القلب لَعْلُ[٢]

٧

بهذا المرْج مثلَ الريح أسْري[٣] علام أهيم فيه؟ لست أدري
فإن أظفر وإن أخفق فإني شهيد تضرم الآمال عمري

٩

يقول العندليب: أيا صحابي! أغيرُ الغمِّ في هذا التراب؟
يشيخ الشوك في عرض الفيافي ويذوي الورد في عمر الشباب

[٢] اللعل: العقيق.

[٣] الريح: الرائحة.

١٢

لـبـدءٍ أو خـتـام لـسـت أُسـري　　أنـا سـرٌّ أحـاول كـشـف سـرٍّ
فـإن بَـدَتِ الـحـقـيـقـة دون سـتـر　　رجعت إلى «لعلَّ» و«ليت شعري»

١٣

أقلبي! كالفراش هوًى، إلامه؟　　ولا تمضي مضاء فتًى، إلامه؟
بنارك فاحترقْ يومًا وأقدمْ　　بنار الأجنبي صلًى، إلامه؟[٤]

١٤

أقم بدنًا على كف الغبارِ[٥]　　شديد الأسر صلبًا كالحجارِ
وقلبًا فيه جيَّاشًا بهمٍّ　　كنهرٍ في حِمى الأطواد جارِ

١٧

أنَجمَ الصبح تُسرع في فراقِ　　لعلك من رقادي ضقت ذرعَا
ضللتُ بغفلتي سُبُلي ولكن　　أتيتَ وجزتنا يقظانَ تسعى

---

[٤] هذه الرباعية مردوفة. فيها الروي قبل الكلمة المكررة.

[٥] يكثر التعبير في الفارسية عن الإنسان بكف غبار «مشت خاك».

٢٠

وكم ذا في الوجود من الحبور! أرى اللذاتِ في شوق الظهور
ويَصْدَعُ غصنَه برعومُ زهرٍ فيبسم للحياة من السرور

٢١

تقول فراشة من قبل خلقٍ أنلني لمحةً قلقَ الحياة
رمادِي فاذْره سَحَرًا ولكن أذِقْني ليلةً حُرَق الحياة

٢٢

نبي الإسلامِ! سر في ضميري يُضيء كروح جبريل الرسول
أخادع آزَريَّ الطبع عنه[6] فهذا السر من سر الخليل

٢٤

أراك بسرِّ أفلاكٍ تجولُ وتجهل سر نفسك يا جهول
فوجِّه — كالنواة — إليك عينًا ليُنبت من قرارتك النخيل

[6] آزري الطبع: الذي يشبه آزر والد إبراهيم. وكان ينحت الأصنام، وكان ولده الخليل يدعو إلى التوحيد.

٢٥

تغنَّى طائر سحرًا طويلَا فأبدع شدوه نغمًا وقيلا:
أبنْ عمَّا بصدرك لا تدعْه غناءً أو أنينًا أو عويلا

٢٨

أتبغي عند مثلي من شراب يَرُدُّك من وجودك كالبعيد
فلا تطلب بسوقي من متاع سوى صدر تَمزق كالورود[٧]

٢٩

تسوءُك روضتي مرأي إذا لم يسرَّك في طِلابٍ بذلُ روحِ
أُبيِّن في عروق الورد سرًّا ربيعي ليس من لون وريح

٣١

أنا في الروض منفردٌ غريبٌ على غصني أَنوحُ مع الرياح
فإن تك من رِقاق القلب فابْعُد فإن دمي لَيرشح في نُواحي

[٧] جمع ورد. والورد في خياله يمزق صدره ليتجلى جماله.

٣٣

أهاب اسكندرٌ بالخضر: أقبلْ وعانِ الكدَّ في بحر وبر
وموتن في الوغى تزدْ حياة إلام تحيد عن كرٍّ وفرٍّ؟

٣٦

له نقش يجدد كل حين فلا تبقى الحياة على غرار
فإن صورت يومك مثل أمس فما يحوي ترابك من شرار

٤١

بهذا المرج ما علَّقت قلبي مضيتُ ولم تعوِّقْني القيودُ
كريح الصبح طفت به قليلًا مضيت ونضَّرت منِّي الورودُ

٤٣

أجاش بقطرتي بحرًا وردَّت حُميَّاه ترابي جام جم[٨]
أقام العقل أصنامًا برأسي خليلُ العشق بادَرَها بهدمِ

[٨] كأس جمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية كان يرى فيها العالم.

٤٦

أتيتَ الطُّورَ تلتمس التجلِّي فروحك منك ليست في وصال
فـأقـدم فـي طِـلابـك آدمـيًّـا كذاك الله في طلب الرجال

٥٠

لخوف الموت قلبك في ارتعاد ولونك حالَ من خوف الشتات
فنفسَك أحكِمَنْ وازددْ نضوجًا فإن تفعل تعش بعد الممات

٥٣

دع الرازيَّ في تفسير آيٍ فإن ضميرنا نِعم الدليلُ
يضرم عقلنا والقلب يصلى بذا نمرودُ فسَّر والخليلُ

٥٥

فـأبـلـغْ شـاعـر الألـوان عنـي لهيبك كالشقائق لا يضير
فنفسك لا تذيب بنار قلب ولا لـيـلًا لـمـحـزونٍ تـنـيـر

* * *

جميلك أو قبيحك لا أراه جعلت عياره ربحًا وخُسرا
بهذا الحفل مَن مثلي وحيدًا؟ أرى الدنيا بعين فيَّ أخرى

٦٠

دع الشُطآن لا تركنْ إليها　　ضعيف عندها جرْس الحياة
عليك البحر صارع فيه موجًا　　حياة الخلد في نصبٍ تواتي

٦٢

أتُكثر لي حديثًا عن حياة　　ولستُ أراك فيها بالحقيق؟
سكرت بلذة التَسيار حتى　　جعلتُ منازلي ميل الطريق[٩]

٦٧

مررت بزهرة ذبُلت فقالت　　وجودي مثل ما طار الشرار
يذوب لمحنة النقاش قلبي　　فليس لنقش ليقته قرار

٦٨

أرى الدنيا على سعة كَحوت　　من الأيام في بحر عميق
فقلبَك أبصرَنْ واعْجب لبحر　　من الأيام في كأس غريق

[٩] يعني أن كل منزل يبلغه يعده علامة على الطريق لا غاية. والميل الحجر يبين المسافة.

٦٩

أنا في المرح حِدِّيثُ الطيور ومِقْوَل كل برعوم صغير
فأسلم للصبا تُربي بموتي فما لي غير طَوف بالزهور

٧٠

أوادي الورد تبدي كل شيء فما سر الشقائق في لهيب؟
بأعيننا الربى أمواج لون فكيف تُرى بعين العندليب؟

٧٣

دماغي يعشق الأصنام كفرًا يربيها ويعبد كل حين
فأبصِر في فؤادي نار عشق بعيد أنت من سنني وديني

٧٥

عوالم من نجوم لا تُحدُّ يطير الفكر فيها لا يُردُّ
ولكنْ في خفايا القلب يُلفى لما يحتويه قد الحدُّ، حدُّ

٧٦

بسلسلة القضاء ربطت رِجلًا وفي سعة العوالم ضقت حالَا
فقم إن كنت في ريب وحاولْ تجدْ للرِّجْل في الدنيا مجالَا

٧٨

بضربك قد علت أنغام روحي أفي روحي وخارجها تكون؟
بدونك خامد وبك اشتعالي بلا كيفٍ فكيف تُرى بدوني

٧٩

أرى الأنفاس من جدواه مَوجًا ومن أنفاسه نابي ونغْمي
على النهر المؤبد قد نبتنا وقطر نداه أعصابي وجسمي

٨٢

أيا طفل السجايا اسْمع عتابي أإسلام وفخر بانتساب؟
فإن تعتز بالأنساب عرب فإن جزاءها هجر الصحاب

٨٣

أأفـغــان وتــاتــار وتــرك   وفي مرج ومن غصن نَمَوْنا
حـرام بيننـا تـفـريق لـون   ربـيـع واحـد فـيـه زهـونـا

٨٤

ثَوتْ في صدرنا همم كبار   بطـيـنـتـنـا فـؤاد فـيـه نـار
من الخمر التي فينا أضاءت   مُـقـيـم فـي زجـاجـتـا شَـرار

٨٥

أيا قلبي، أيا قلبي، أيا قلبي   أيا فلكي ويا بري وبحري
قطرتَ على ترابي كالندى أم   نبتَّ بتربتي بُرعوم زهر؟

٨٨

أتسأل من أنا من أين جيت؟   حبيت بما على نفسي طُويت
بهذا البحر مثل الموج أسرى   إذا لم أطو في نفسي فنيت

٩٠

عليك السير لا ترغب مقيلا　　وسر كالشمس لا ترقب دليلا
وهب للآخرين متاع عقل　　ونار العشق فاحفظها بديلا

٩١

ألا يا عشق يا رمز الفؤاد　　ويا زرعي النضير ويا حصادي
تقادم أهل هذا الترب فاخرج　　بآدم محدث من ذا الرماد

٩٦

يرى قلبُ الشجاع الليث وهمًا　　وفي قلب الجبان الظبيُ ببْرُ
فإن تَجْبُنْ رأيت الموج وحشًا　　وإن تشجعْ فإن البحرَ برُّ

٩٧

أخمرًا خلتني أم كأس خمرٍ؟　　ودرًّا خلتني أم كيس درٍّ؟
أراني غير روحي وهي غيري　　متى أنظر إلى مكنون سرِّي

٩٨

تقول: بطيرنا علقت قيود	وفي شرك الجسوم لها همود
ومعنى الروح بالأجسام يعلو	مِسنٌّ سيوفنا هذي الغمود

٩٩

فكيف بقلبنا ولد الرجاء؟	وكيف سراج منزلنا يضاء؟
ومن في العين يبصر؟ما يراه؟	وكيف حوى النُّهى طين وماء؟

١٠١

لنا كون لأزميل ونحت	يقلبه صباحك والمساء
مثال من تراب لم يكمل	يسويه بمبرده القضاء

١٠٣

طريقك فانحتنه في كفاح	طريق سواك مسلكه عذاب
فإن أبدعت في عمل فريٍّ	وإن يك مأتمًا فلك الثواب

١٠٤

دليل القلب لا يرضى نزولًا ولا يرضيه ماؤك والتراب
فلا تحسبْه في جسد مقيمًا فلا يرضى بشط ذا العباب

١٠٦

تخذتُ لخلوتي طيني ومائي وبُوعد بين أفلاط وبيني
فلم أستجد وما عين غيري ولم أر عالمي إلا بعيني

١٠٨

ترى رمز الحياة بكل كمٍّ مجاز فيه يا قلبي الحقيقه
بترب مظلم ينمو ولكن له عين إلى شمس الخليقه

١٠٩

يضيء على المروج وكل سهب وكاس الورد فيه نور حب
وما تغشى الورى ظلمات ليل فحرقته السراج لكل قلب

١١١

وبالعدم استرابت ثم راغت فحلت قلب آدم للثواء

١١٢

بقلبي سر جثمان وروح فلا فزع إذا أجَلي أتاني
فإما غاب عن عيني كَوْن فباقٍ ألف كون في جناني

١١٤

مزاج الزهر أعرف في يقين وريح الورد في خلد الغصون
وحبَّبَني إلى الأطيار أني عَرَفْتُ لها مقامات اللحون

١١٥

نظام الكون من شعر الرجاء له الأوتار من وتر الرجاء
بعيني كل ما يمضي ويأتي هو اللمحات من دهر الرجاء

١١٦

يهيم القلب في أثر الرجاء وصدري من ضجيج في عناء
فلا تطمع جليسي في حديثي! فإني من فؤادي في نداء

١١٩

أرى الحكماء تَحْطِمُ كل شكل ... ومن هذا الوجود بسومنات[١٠]
يريدون الملائك في طِلاب ... وما ظفروا بآدم في الحياة

١٢١

جلست مع الطبيعة ألف عام ... وُصلتُ بها وعن نفسي فصمت
قصارى سيرتي في ذاك أن قد ... نحتُّ، وقد عبدتُّ، وقد حطمت

١٢٣

بنفسي جلوة الأفكار، ما هذا؟ ... وحولي محشر الأسرار، ما هذا؟
ابن لي يا حكيم: يقيم جسمي ... وروحي دائم التسيار، ما هذا؟

١٢٥

بكَيفِك إن تُحطْ خُبْرًا وكَمِّكْ ... يَفِضْ من قطرة لك فيض يمِّك
فيا قلبي لِمَ استجداء شمس؟ ... من الأنفاس نوِّر ليل غمِّك

---

[١٠] معبد أصنام معروف في الهند.

١٢٦

أَفِقْ ما القلب بالأنفاس يحيا   ولا هو رهن ما يفنى ويبقى
أخا الأوهام لا تَرهبْ حِمامًا   فإن نَفَسٌ مضى فالقلب يبقى

١٣١

إلى أهل التصوف والصفاء   رجالِ الله أرباب الضياء:
أنا عبد لِهِمَّة عبد نفس   بنور النفس للخلاق راءِ

١٣٤

بسُدَّة حاننا الغَبْرَا غبار   ودورة كأسنا الفلك المُدار
حديث جهادنا مضنٍ طويلٌ   ودنيانا لقصتنا اختصار

١٣٨

وما علَّقت بالأنغام قلبي   وفي نغم الحياة أنا الخبير
وقد غنَّيت في الأغصان حتى   تصيح الطير: من ذا يا زهور؟

١٣٩

أثَرتُ بنغْمتي كل النوادي ومن شرر الحياة جعلت زادي
أضاء القلب من عقلي ولكن جعلت عيار عقلي في فؤادي

١٤٠

رددتُ العُجم فتيانًا بزمري وراج متاعهم من بعد خسْر
وكانوا هائمين بكل وادٍ وقافلةً نَظمتُهمُ بشِعري

١٤١

بروح العُجْم من نَغَمي شرار قَرعتُ لهم بأجراسي فساروا
وعاليت الحداء لهم كعرفي[11] تباطأ محمل ونأت ديار

١٤٢

نفثتُ النار من روحي نفثتُ وصدرَ الشرق قلبًا قد وهبتُ
وصيَّر طينَه لهبًا نُواحي كبرق في سجاياه نفذتُ

---

[11] إشارة إلى بيت عرفي الشيرازي:

نوارا تلخ تر مي زن چوذوق نغمه كم يابي حدى را تيز ترمي خوان چون محمل را گران بيني

١٤٥

بأغصان الرجاء جنيت أكلًا وأفضى الدهر بالسر المنيع
أراميَّ اخشَ للبستان ربًّا فإن معي رسالات الربيع

١٤٧

بحار العجم ليس لها قرار وفي أحشائها درر كبار
ولكن لا أحب ركوب بحر إذا لم يُخشَ في موج خطارُ

١٤٨

على دنياك تقضي بالهوان وستَّر للمغيَّب كلُّ آنِ
فأحكم يومك المشهود واعلمْ بأن غدًا ضميرٌ في الزمان

١٤٩

كرهت سيادة الإفرنج لكن سجودك للقباب وللقبور
أَلِفْتَ عبادة السادات حتى لَتنحتَ سادةً لك من صخور

١٥٠

إلام تعيش في رث الإهاب؟ إلام تعيش نملًا في تراب؟
فَطِرْ كالصقر معتزمًا وحَلِّقْ إلام أسير حبًّا في اليباب

١٥١

تخذْ في الورد والأزهار عشًّا ومن طير دروسًا في انتحاب
وإن ينقص قواك الشيبُ فأْخذ من الدنيا نصيبًا من شباب

١٥٣

أهاب بمسمعيَّ تراب قبر: وتحت الأرض يمكن أن يُعاشا
له نفس وليس لديه روح ذليل في مراد سواه عاشا

١٥٧

سماطي ليس فيه ما يروق ولا في الكأس لألأت الرحيق
غزالي يغتذي عشب الموامي ولكنْ صدره مسك فتيق

١٥٨

قلوب المسلمين قبسن ناري ودمعي من عيونهمُ هتون
بروحي محشر قد غاب عنهم فلم ترَ ما رأيتُ لهم عيون

١٦٠

أرى للعشق تصريفًا عجيبًا يقلب كيف ما يهوى القلوبا
رماك بأدمع وسباك نفسًا وصيَّرني إلى نفسي قريبًا

١٦١

رأيتك لا تزال أسير طين إلى ترك وأفغان تُردُّ
أنا بشر بلا لون وريح وللتوران أو للهند بعد

١٦٦

أثار الشعر في جنبيَّ نارًا وردَّ الترب في طُرقي شَرارًا
حديث الحب حاوله لساني فزاد السر تبياني سِرارًا

١٦٣

تولى بعدُ عن عقل الفنون وأدمى قلبَه عشقُ الشجون
فلا تستفت إقبالًا لشيء فإن حكيمنا رهن الجنون

أفكار

الوردة الأولى

لا أرى في المروج لي من قريع　　　أنـا أولـى زهـور هـذا الـربـيـع
أبتغي في الغدير صورة نفسي　　　لأرى وجه مؤنس لي سميع
فـي سـطـوري رسـالـة بـيـراع　　　خط سطر الحياة في ترصيع
أمس قلبي وعبرة اليوم عيني　　　وغـدي مـنـيـتـي وكـل بـديـع

وأنـا الـنـجـم خـلـفـتـه الـثـريـا
نـسـج الـتـرب ثـوب ورد عـلـيًّا

دعاء

أيا مـالـئًا كأسـي بـحـانـة فطرتـي　　　أَذِبْ طين كأسي من حرارة خمرتي
وصيِّرْ أنيني ثروة العشق واجعلَنْ　　　تـرابًـا بـسـيـنـائـي تـسـعـر شـعـلـة
إذا مت فاجعلني سراج شقيقة[١]　　　وبالبِيد أحرقْني وزد نار وسمتي

---

[١] يعني زهرة من الشقائق.

رائحة الورد

وحوراء في الخلد ضاقت فقالت: «جهلنا بما تحتنا من جهاتِ
يـحـيـر عـقـلـي نـهـار ولـيـل وما قيل عن مولد أو ممات»
غدت ريح ورد وذرَّت بغصن فـحـلَّـت بـعـالـم مـاض وآت
وتـفـتـح عـينًا وتـبـسـم كمًّا وبعـد نـماء هـوت فـي شـتـات
لهذي الطليقة لم تبق ذكرى سـوى آهـة سـمـت بـالـشـذاة[٢]

نشيد الوقت

قد أحاط الشمس حجري وحوى الأنجـم صدري
أنــا لا شــيء ولــكــن فـيـكمُ روحـيَ تـسـري
أنـا فــي دورٍ وقـفـرِ أنـا فـي كـوخٍ وقـصـرِ
أنــــا داء ودواء وأنـا عـيـشـةً يُـسْـرِ
أنـا سـيـف الـدوران[٣]
أنـا عـيـن الـحـيـوان[٤]
إن جـنـكـيـزَ وتـيـمـو رَ قـلـيـلٌ مـن غـبـاري
ثـورة الإفـرنـج فـيـهـا نـفـثـات مـن شـراري
إنـمـا الإنـسـان والـدنــ ــيا نفوشي وابتكاري
ودمــاء مــن قــلــوب فـي ربـيـعـي كـالـبـهـار
أنـا لـفـح الـنـيـران
أنــا روض الــرضــوان
أنـا سـيَّـار مـقـيـم إن هــذا الأمــر إمْــرُ

---

[٢] الشذاة: الرائحة.

[٣] دوران الفلك.

[٤] ينبوع الحياة، وعين الحياة في الأساطير شرب منها الخضر فلم يمت.

إن فـي خـمـرة يـومـي　　مـن غـد يـظـهـر سـر
أَلْفُ كَون فـانـظـرَنْـهـا　　فـي ضـمـيري تـسـتـسرُّ
ونــجــوم فــي حــبــاك　　وقــبــاب فــيَّ خُـضْـرُ
أنــا ثــوب الإنــســان
أنــا ســر الــرحــمــن
سـرِّيَ الـتـقـديـر والـتَّـد　　بير من سحر فنونكْ
أنـت مـجـنـون بـلـيـلـى　　أنـا صـحـراءُ جـنـونـكْ
أنــا كــالــروح بــريٌّ　　مـن خـيـالات ظـنـونـكْ
أنـت فـي جـوفـي سـر　　وأنــا ســر شــئــونــكْ
أنــا حــاد أنــت نُـزْل　　أنـا حـقـل أنـت حـاصـلْ
أنـت فـيَّـاض بِـلـحْـن　　أنت نـار فـي الـمـحـافـل
يـا أسـيـر الـطـيـن فـكِّرْ　　أنـت عـن قـلـبـك غـافـلْ
انـظـرَنْـهُ مـلءَ كـأس　　وهْـو بـحـر دون سـاحـلْ
إن مـوجًـا فـيـك يـعـلـو
مـنـه يـبـدو طـوفـانـي

الربيع

١

هـلـم فـإن سـحـاب الـربـيـعِ　　يـخـيـم فـوق الـربـى والـوهـادِ
وشـدو الـعـنـادل فـي كـل وادِ
ودُرَّاجـه والـقـطـا فـي تـهـادي
على حافة النهر جذلى شوادي
شـقـيـق وورد ضـحـوك يـنـادي
فـطـرفـك سـرح بـهـذا الـمـراد
هـلـم فـإن سـحـاب الـربـيـع　　يـخـيـم فـوق الـربـى والـوهـاد

٢

هلم فملء الربى والسهول قوافل أزهاره والورود
نسيم الربيع على كل عود
وللطير إبداعها في النشيد
ومزقت الجيبَ حمرُ الخدود[٥]
جنى الحسنُ ناشئ زهر نضيد
وللعشق إبداعُ غمٍّ جديد
هلم فملء الربى والسهول قوافل أزهارِه والورود

٣

صفير البلابل ملء الجواء وصوت الصلاصل ملء النسيم[٦]
دم المرج في جوفه كالحميمْ
فيا قاعدًا صامتًا لا يريمْ!
دع الصمت واترك وقار الحليمْ
وخَمْرَ المعاني اشْرَبَنْ يا سقيمْ
تَدَثَّرْ بوردٍ وغَنِّ النديمْ
صفير البلابل ملء الجواء وصوت الصلاصل ملء النسيم

٤

دع الدور واطلب فسيح البراريِّ وانظر إلى صفحات الجمال
على حافة الماء دون ملالِ
تأمَّلْ ترقرُقِ ماء زُلالِ
وحدق إلى نرجس ذي دلالِ

[٥] شقائق النعمان.

[٦] الصلصل الفاختة أو طائر يشبهها. والكلمة نفسها في شعر إقبال.

بُنَيَّاتُ نيسانَ ذاتُ اختيالِ
وقبِّل عيونًا لها كاللآلِي
دع الدور واطلب فسيح البرراي   وانظر إلى صفحات الجمال

٥

وعين البصيرة فانظر بها   أيا غافلًا عن عيان الخِلَقْ
شقيق بدا حَلَقًا في حلق
بأعطافه لهب قد علق
على كبد فيه ذات حرق
يلوح ندًى من دموع الفلق
فحدِّقْ إلى أنجم في شفق[٧]
وعين البصيرة فانظر بها   أيا غافلًا عن عيان الخلق

٦

ثرى المرج صرَّح في هيجه   بما أضمرت مُهَجُ الكائنات
فناء الصفات وكون الصفاتِ
وما أبدت الذات من جلوات
وما خلته من معاني الحياة
وما خلته من معاني الممات
فليس له ها هنا من ثبات
ثرى المرج صرح في هيجه   بما أضمرت مهج الكائنات

[٧] يشبه الندى على الشقيق بالأنجم في الشفق.

الحياة الخالدة

لا تظنَّ الخمَّار وافى ختامًا   كم من الراح في عروق الكرومِ!
يجمل المرح لا بثوب حياة   مزقته النسيم، كالبرعومِ
من يحط بالحياة لم يرض قلبًا   لم تخزه المنى بشوك أليمِ
محكمًا كالجبال عِشْ، لا ضعيفًا   واهن النار طائشًا كالهشيمِ

أفكار النجوم

سمعت بكوكب لأخيه يشكو: لنا بحر وليس يلوح ساحلْ
خُلقنا للمسير بلا وقوف   فليس لركبنا أبدًا منازلْ

* * *

فإن تمض النجوم كما نراها   فما جدوى العناء؟وما نفيد؟
بأشراك الزمان لنا إسار   سعيد من يجانبه الوجود

* * *

لَهذا العبءُ محمله شديد   فليت وجودنا عدم أبيد
كرهت القبة الزرقاء أوجًا   حضيض الترْب خير. لو نريدُ[٨]

* * *

فطوبى لأبي آدم في طعان   قد استولى على طرف الزمان
خليق بالحياة له قوام   يجد: أو يخلق كل آن

[٨] لو كان لنا إرادة واختيار.

الحياة

بكى في الظلام سحاب الربيع　　فقال: الحياة بكاء مديد
فقال له البرق في ومضه:　　هي الضحك في لمحة، لا تزيد
فمن أبلغ الروض هذا الحديث　　فصار حوار الندى والورود؟

محاورة العلم والعشق

العلم:

أنا سر الكواكب والجهات　　وفي قيدي ثوى ماضٍ وآتِ
وعيني حدقت فيما أمامي　　وما نظري وراء السابحات؟
وكم نغمت في عودي وبوقي　　وأسراري عرضت بكل سوق

العشق:

بسحرك سُجِّرَتْ هذي البحار　　وملء الجو سمُّك والشرار
وكنت لي الصديق فكنت نورًا　　ونورك مذ هجرت حماي نار
ولدت الأمس في حرم الرحيم
وصرت اليوم في قيد الرجيم
هلم فرد روضا ذا اليبابا　　ورد مشيب دنيانا شبابا
هلم بذرة من نار قلبي　　أقم في الأرض فردوسًا عجابا
كلانا الدهر خل لا يجور
للحن واحد بم وزير

غناء النجوم

وجـودنـا نـظـامـنـا
وسـكـرنـا انـسـجـامـنـا
فــي دورنــا دوامــنــا
لا يـرتـجـى مـقـامـنـا
فــي فــلــك مــرامــنــا
نــنــظــر ســائــرات

* * *

وجــلــوة الــشــهــود
ومــظــهــر الــبــدود[٩]
ومــعــرك الــوجــود
والـعُـدم والـمـوجـود
والـغـيـب والـمـشـهـود
نــنــظــر ســائــرات

* * *

وحــلــبــة الــطــعــان
ونــشــأة الــشــجــعــان
وغــيــر الــتــيــجــان
وذلــة الــســلــطــان
ولــعــب الــزمــان
نــنــظــر ســائــرات
مـضـى زمـان الـمـولـى
والـعـبـد قـد تـولـى

---

[٩] جمع بد وهو الصنم، معرب بت.

سـكـنـدر قـد ولـى
وقـيـصـر قـد ذلا
والـوثـن اضـمـحـلا
نـنـظـر سـائـرات

* * *

والصمت والصياحا
والـذل والـكـفـاحـا
والـخـنـع والـطـمـاحـا
وتـــارة أفـــراحـــا
وتـــارة أتـــراحـــا
نـنـظـر سـائـرات
عقلك في عقد وحل
من كم وكيف في شغل
مثل غزال قد عقل
مضطرب ومضمحل
ونحن في العليا نحل
نـنـظـر سـائـرات

* * *

ما السر ما الظهور؟
وما الدجى ما النور؟
ما الغلب ما الشعور؟
مـا فـطـرة ضـجـور؟
ما الغيب والحضور؟
نـنـظـر سـائـرات

* * *

كـشـرك عـنـدنـا أمـم

حـولـك عـنـدنـا لـمـم
يا من بـصدره خضـم
قنعت بالطل انسجم
نــحــن بــعــالــم نــهــم
نـــنـــظـــر ســـائـــرات

نسيم الصبح

أجـيء من لُجِّ بـحـر ومـن قـلال الـجـبـال
مـسـيـرًا لـسـت أدري من أين شدت رحالي
أزجـي لـطـائـر غـم بشرى ربيع الجمال
ونـاثـرًا تـحـت عـش نـثـار زهـر غـوال
بــخــضــرة أتــردى وبالشقيق اتصالي
حـتـى يـهـيـج فـيـه لونًا وريحًا وصالي
يـمـس أوراق ورد تلطفي واحتيالي
فـلا تـمـيـل غـصـون من طوفي المتوالي
وشـاعـر هـيـجـتـه هموم عشق ثقال
مزجت أنفاس صدري بــلــحــنــه والــمــقــال

نصيحة صقر لفرخه

تـعـلـم بـنـيَّ بـأن الـصـقـور لـها قلب ليث وجسم صغير
فكن مُحْكَمَ الرأي شهمًا جسورَا علـيَّ السجايا أبـيًّا غيورَا
بغاث الطيور اهجرنْها بعيدَا ودعها إذا لم تُرِدْ أن تصيدَا
فتلك الرعاديد نسل اللئام تدس مناقيرها في الرغام

أرى الباز صيدًا لما اصطاده   إذا قلد الصيد ما اعتاده[١٠]
فكم باشق قد أتاه النوى   بصحبة لَقَّاطِ حَبٍّ هوى
فنفسك فاحفظ وعش في جذل   جريئًا متينًا قوي العضل
ودع للدراريج لين الجسد[١١]   وكن مخلبًا كالمُدَى أو أَحَد
متاع الحياة، تعلُّم، جهاد   وصبر على محنة واجتهاد
نقول لفرخِ عقابٍ عتيق: «بريق الدماء يفوق العقيق»
ولا تبغ سربًا كسرب الغنم   توحَّدْ كقومك منذ القدم
سمعت وصاة الصقور العتاق   بألا نقيم بظل وساق
فليس لنا في رياض مجال   فسيح الفيافي لنا والجبال
ولقطك حبًّا بأرض خطاء   حبانا الإله عنان السماء
فإما خطا في التراب النجيب[١٢]   فأشرف منه حمام ربيب
فإن بساط البراة الحجر   يحد مخالبهن الصخر
نماك الأوابد زرق العيون   كأنك عنقاء جو متين
أصيل أبي بيوم الخطر   كفيل بإنسان عين النمر
جناحك من سطوات البروق   من الشهب فيك كريم العروق[١٣]
فطِرْ في السماوات لا تخش خطبًا   وكل ما أصبت يبيسًا ورطبًا
ولا تقبلن طعمة من أحد   وكن راشدًا واستمع للرَّشَدْ

---

[١٠] يعني إن قلد الصقر الطيور الضعيفة التي يصطادها في عاداتها كان هو صيدًا لها مغلوبًا على أمره.

[١١] دراريج: جمع دراج وهو طائر معروف.

[١٢] يعني: الصقر ونحوه، وكلمة النجيب في الأصل.

[١٣] الشهب أي البيض وفيها تورية بشهب السماء.

سوس الكتب (الأرضة)

سـمـعـتُ بـمـكـتـبـي لـيـلـة — ينادي الفراشة سوس الكتاب
يقول مررت بكتْب ابن سينا — ونـقـبـت فـي كـتـب الـفـاريـابـي
ولـم أدر حـكـمـة هـذي الـحـيـاة — وما زلت من ظلمتي في حجاب
تـجـيـب الـفـراشـة فـي حـرقـة: — أرى نـكـتـة لا تـرى فـي كـتـاب
رأيـت الـكـفـاح يـعـد الـحـيـاةْ — رأيـت الـكـفـاح يـمـد الـحـيـاةْ

الشقيقة[١٤]

نـار بـصـدر عـشـق — فـي أزلٍ أنـيـرُ
شـمـسًـا أرى وفـي كـلْ — لِ ذرة أثـور
شـرارهـا مـن نـاري الـ — ـسـمـاء تـسـتـعـيـر
حـلـلـت صـدر مـرج — كـنـفـس أدور
وكـالـنـدى مـن تُـربـى — غـصـن بـدا نـضـيـر
قـال: قـفـي قـلـيـلًا — ولـهـبـي يـغـور
ومـا ثـواء قـلـب — مـن ألـم يـسـيـر؟
ثـوي بـضـيـق غـصـن — فـي قـلـق يـفـور
حـتـى كُـسـيـت لـونًـا — وعـبـق الـعـبـيـر
رشَّ الـنـدى طـريـقـي — بـلـؤلـؤ يـنـيـر
والـصـبـح لـي ضـحـوك — وبـي الـصـبـا تـدور
حـكـى لـعـنـدلـيـب — وَرْد لـه نـضـيـر:
أنـي سـلـبـت نـاري — وخـمـد الـسـعـيـر
فـقـال فـي نُـواحٍ: — كم أُغْلِيَ الـظـهـور[١٥]

---

[١٤] واحدة الشقائق، التي تسمى شقائق النعمان وهي في الشعر مثال لحرقة القلب. انظر المقدمة.
[١٥] يعني أن الزهرة اشترت ظهورها بذهاب نارها وهو ثمن عظيم.

أحـمـل مـن شـمـس
تـشـع فـي ضـلـوعـي
فهل — وليت شعري —
لـلـنـار مـن رجـوع

الحكمة والشعر

ابن سينا في غبار حائر ويد الرومي في ستر الحبيب
غاص هذا يجتني دُرًّا وذا كغثاء دار في اللجِّ المهيب
إن حقًّا دون نار حكمة وهو شعر إن يصب نار القلوب

اليراعة[١٦]

وذرَّة حقيرة قد جمعت قواها
كأنها فراشة من حُرَق تصلاها
قد نَوَّرَت دجاها
فهي أياة خلفت وانعقدت شرارًا
من حرقة في قلبها تحولت نضارًا
وبصرًا نظَّارًا
فراشة في قلق تطير كل ناحيةْ
على اللهيب رفرفت حتى كأنه هيهْ
أنا وأنت قاليَةْ[١٧]
أو كوكب في صدره مستتر الضياء

[١٦] ذبابة تطير بالليل كالشرارة.

[١٧] يعني تحب الوحدة وتكره التعدد الذي يقال فيه أنا وأنت.

وقد تدلَّى هابطًا　　في الأرض لاجتلاء
من فلك السماء
أو قمر مصغر　　بجلوة تمام
فمنة الشمس على　　شعاعه حرام
لم يحوه مقام
يا لك من يراعة　　تصورت من نور
مسيرها سلسلة الـ　　ـغياب والحضور
وسنة الظهور
يا مشعلًا للطير في　　معتكر الظلام
ما حرقة أحسستها　　فأنت في هيام؟
حرارة الأقدام
نحن وقد نبتنا　　مثلك من تراب
نجهل في اضطراب　　نبصر في اضطراب
نخفق في الطلاب
أقول قول واع　　مجرب شفيق:
لا تَسْعَيَنْ لنُزْلٍ　　وامض على الطريق
وارضَ بذا التوفيق

الحقيقة

تقول لبطة صحبت عقابَا:　　أرى ما أدركت عيني سرابَا
أجابتها محاورةً بحق:　　ولكني أرى ماء عبابَا
فقال الحوت في لجٍّ عميق:　　هنا شيء ويضطرب اضطرابا

حداء: نغمة حادي الحجاز

يا ناقتي الخَطَّارة
وظبيتي المعطارة
وعدتي والشارة
والمال والتجارة
يا دولتي السيارة!
حثي الخطى قليلًا منزلنا قريب
مطربة الرغاء
جميلة الرواء
محسودة الحسناء
وغيرة الحوراء
بنية الصحراء!
حثي الخطى قليلًا منزلنا قريب
كم غصت في السراب
في وقدة اليباب
وسرت لم تهابي
في الليل كالشهاب
والنوم عنك نابي
حثي الخطى قليلًا منزلنا قريب
قطعة غيم غادي
سفينة الرواد
كالخضر في البوادي
تمضين في سداد
فلذة قلب الحادي!
حثي الخطى قليلًا منزلنا قريب
هيامك الزمام
وسيرك الأنغام

يـتـعـبـك الـمـقـام
لا الـــجــوع والأوام
والــســفــر الـمـدام
حثي الخطى قليلًا مـنـزلـنـا قـريـب
ممسية في اليمن
مصبحة في قرن
تـريـن حـزن الـوطـن
كالخز تحت الثفن
إيـه غـزال الـخـتـن!
حثي الخطى قليلًا مـنـزلـنـا قـريـب
بـدر السماء نـعـسا
خلف التلال خنسا
والصبح قد تنفَّسا
مـزَّق هـذا الـغـلَـسـا
والريح تزجي نفسًا
حثي الخُطى قليلًا مـنـزلـنـا قـريـب
لـحـنـي دواء الـسـقـم
والـروح مـلء نـغـمـي
يحدو الركاب كلمي
مـن جـارح وبـلـسـم
هـلـمَّ بـنـت الـحـرم!
حثي الخطى قليلًا مـنـزلـنـا قـريـب

بين الله والإنسان

خلقت الأنام لطينٍ وماء — خلقت تتارًا وزنجًا وفرسَا
خلقت من الترب هذا الحديد — وسهمًا خلقت وسيفًا وتُرسَا

وفأسًا خلقت لجذع وغصن
وسجنًا صنعت لطير مغني

الإنسان:

خلقتَ الظلام فصغتُ السراج وطينًا خلقتَ فصغتُ الكئوسا
خلقتَ جبالًا وبِيدًا ومَرجًا خلقتُ حدائقها والغروسا
أنا من حجارٍ صنعت مرايا
أنا من سموم صنعت دوايا

اليراعة

تقول يراعة: لا تحسبنِّي كنمل السوء يألمني رفيقي
ولا أعشو إلى نيران غيري
كما يهفو الفراش على الحريق
إذا حلك الظلام كعين ظبي أنرتُ بنور أضلاعي طريقي

وحدة

قد قلت للبحر يومًا في موجه المتعالي
أراك حِلف طلاب فما تُكِنُّ ببال؟
وكم حويت بصدرٍ من لامعات اللآلي
أفيك مثلي صدر بجوهر القلب حالي؟
فصَدَّ عني بجزر
ولم يرُدَّ سؤالي
وقلت للطود يومًا: يا خاليًا من عناء
أنال سمعك صوت من زفرة وبكاء

إن كنت تحوي عقيقًا به عروق دماء
فواسني بحديث إني حليف شقاء
فصد عني صموتًا
ولم يرد سؤالي
جَدَدْتُ في السير حتى أتيت بدر السماء
فقلت: يا نِضْوَ سير إلى متى في مضاء
الأرض مرج زهور من نورك اللألاء
أخلف نورك قلب في حرقة وعناء
رأى الكواكب ترنو
فلم يرد سؤالي

* * *

وقلت لله ربي من بعد طوف البرية:
أما بدنياك هذي من ذرة لي نجية؟
أكل طيني قلب وذي البرايا خلية
طابت مروج ولكن ليست بشدوي حرية
أجابني بابتسام
ولم يرد سؤالي

قطرة الندى

قد قيل لي تدلَّيْ من فلك الدراري
واستحكمي وسيري للبحر ذي التَّيَّار
في الموج لا تحاري
تحولي واختاري
في الدرر الكبار
فما رضيت بحرًا لصحبتي بحال

عفت احتساء راح تسلبني خلالي
ما ضفت من خصالي
وعشت في اعتزال
قطرت كالآلي

الورد لي سئول ما خطب طير السحر
وما جهات النظر؟
وما وراء البصر؟
ما الشوك حول الزهر

ما نحن في اصطحاب؟ من نحن يا ودود؟
ما طائري المغني رجَّحه الأملود؟
ما يقصد الغِرِّيدُ؟
وما الصبا تريد؟
ما العالم العتيد؟

* * *

قلت: المروج حرب الـ ـحياة في الآفاق
حفل له نظام من لذة الفراق
الروح من إشراق
ونفسي أشواقي
سر من الخلَّاق

من فلك هبوطي من طينة فتقت
من لذة التجلي نموت إذ أشرقت
في الغصن قد خفقت
كم حُجُب مزقت
نفسك قد حقِّقت

الدهر في اخضرار من دمعنا في السحر
وذي الجهات طُرًّا خداعنا في النظر

بالصدر سرب الزهر[18]
مـن قـلـبـنـا كـالـشـرر
ونـورنـا فـي الـبـصـر
فـي ثـوب ورد إبـر   مـن شـوكـه تـصـول
شـوك! أجـل، ولـكـن   نـادمـه الـجـمـيـل
مـن عـشـقـه نـحـيـل   وعـنـده الـخـلـيـل
فـي روضـه أصـيـل
الـقـلـب أَخْـلِـيَـنَّـهْ   مـن صـحـبـة الـدهـور
عـيـنـك فـافـتـحـنـهـا   لـلـكـوكـب الـمـنـيـر
وصـحـبـة الـبـصـيـر   مـثـلـي هـلـم طـيـري
فـي الـفـلـك الـكـبـيـر

العشق

فـكـري قـد أجـدَّ كُـلَّ سـيـر   وطـاف بـيـن حَـرَمٍ وديـر
عـدوت لـلـطـلاب فـي الـبـراري   مـرتـديًـا بـالـنـقـع كـالإعـصـار
بغير خضر أطلب المنازل![19]   يحمل رحلي للخيال كاهل
تطلب راحا كأسي الحطيم   كالصبح من شباكه النسيم
منطويًا كالموج في البحار   حيران كالإعصار في الصحاري
عشقك فاض بغتة بقلبي   وحل كل عقدة في لبي
عـرفـنـي الـوجـود والـفـنـاء   وصـار ديـري حـرمًـا وضَّـاء
على حصيدي مر كالبروق[20]   عـرفـنـي لـذاذة الـحـريـق

---

[18] الزهر: النجوم.

[19] بغير دليل كما دل الخضر الإسكندر.

[20] يكثر في الشهر الفارسي ذكرى إحراق البرق البيدر ويكني به الصوفية عن قطع العشق علائق الإنسان بالدنيا.

صُعقت توًّا وسُلبت حسي فصلت من نفسي مثل العكس[٢١]
رفعت للعرش العلي تُربي بالسر قد أفشيته لقلبي
وبلغت سفينتي مرساها وفاض قبحي رونقًا وتاها
عندي حديث العشق لا سواه لا أحمل الملام في بلواه
غنيت عن ومض العلوم حسبي خفقي وناري ودموع الحب

حياتك فابغ في الخطر الجليل

غزال بث شكواه غزالًا فقال سأقصد البلد الحرامَا
أرى الصيَّاد حولي كل حين فلا أسطيع في أرضٍ مقامَا
أبدِّل خيفَةَ الصياد أمنًا
وأنفي الغم عن قلبي المعنَّى
أجاب رفيقه أن يا خليلي حياتك فابغ في الخطر الجليل
ونفسك فاشحذن في كل آنِ وعش أمضى من السيف اليماني
ففي الأخطار للهمم اختبار
لأرواح وأجساد عيار

الحياة

قد سألنا عن الحياة حكيمًا قال: خمر يطيب فيها الأَمَرُّ
قلت بل دودة نمت في تراب قال لا! بل سمندر لا يقر[٢٢]
قلت: والشر طبعها. قال لا بل خيرها قد جهلت والجهل شر
قلت: ما شوقها يسير لنزل قال: في الشوق منزل مستسر
قلت في الطين خلقها قال فانظر: شقت الطين حبة فهي زهر

[٢١] العكس الصورة والكلمة نفسها في الأصل.
[٢٢] السمندر حيوان خرافي يعيش في النار.

الحور والشاع (معارضة لقصيدة الحور والشاعر لگوته)

الحور:

لا الخمر يومًا تطَّبيــ ـــك ولا إلينا أنت ناظرْ
إنـي عـجـبـت لـشـاعـر بهوى الأحبة غير شاعر
من حَرِّ أنغام الرجاء وحرقة الطلب المثابر
نـفـس تـذيـب بـلـوعـة وتغزُّل يشجو المزاهر
وخلقت بالألحان دنيا ك العجيبة خلق شاعر
تـبـدو لـهـا إرم كـمـا يبدو لعين فعل ساحر

الشاعر:

تَـخْـدَعْـنَ قـلـب مـسـافـر بالسحر من وخزات قائل
مـا إن تـحـاكـي لـذة وخزات شوك في المجاهل
مـاذا أقـول وفـطـرتـي لا ترتضي دعة المنازل
قـلـبـي عـلـى قـلـق كـمـا تهفو الصبا حول الخمائل
فـإذا نـظـرت إلـى جـمـيـل رائـع حـلـو الـشـمـائـل
خـفـق الـفـؤاد إلـى الـذي يعلوه حسنًا في المحافل
فمن الشرار إلى النجوم إلى الشموس رُقِيَّ آمل
إنـي لـيـهـلـكـنـي الـقـرا ر فما أعوج على المراحل
وإذا شـربـت مـن الـربـيـع الكاس تسري في المفاصل
أشــدو بــشــعــر آخــر وربـيـعـي الآتـي أغـازل
طلبي النهاية في الذي لا ينتهي فيه المُسائل
لا صـابـر نـظـري ولا قـلـبـي عـن الآمـال غـافـل
تـودي قـلـوب الـعـاشـقـيـن بـدارة الـخـلـد الـمـواصـل
لا صـوت مـحـزون ولا ألـم ولا واسٍ يـسـائـل

الحياة والعمل (جواب لنظم هاتنا المسمى سؤالات)[٢٣]

يقول الساحر المسكين: دهرًا حييت ولم يَبِنْ لي ما أكون؟
فقال الموج في صخب وسير: وجودي السير والعدم السكون

الملك لله

طارق أحرق السفين فقالوا: ليس هذا من فعله برشيد
غرباء ومن لنا برجوع ذا خطار في الشرع غير سديد
أمسك السيف طارق في ابتسام قائلًا واثقًا بعزم شديد:
مُلكنا اليوم خالصًا كل ملك إنه ملك ربنا المعبود

النهر[٢٤]

انظر النهر جاريًا في هيام بين خضر المروج مثل المجَرَّةْ
كان في المهد في السحاب نؤومًا شاقه السير في مروج وخضْرَةْ
يبعث اللحن جاريًا فوق صخر صافي اللون في بهاء ونضْرَةْ
يقصد البحر ذا العباب طروبَا
وعزوفًا عن كل شيء غريبَا
منحته يد الربيع طريقًا من أقاح ونرجس وشقيق
يضحك الورد أن تلبَّث لدينا ويقول البرعوم: قف يا صديقي
وهو قالٍ عرائس المرج ماض في الرُّبى والوهاد غير رفيق

---

[٢٣] هاتنا شاعر ألماني.

[٢٤] ترجمة نظم گوته المسمى نغمة محمد مع تصرف كثير. وفي هذا النظم الذي كتب قبل «ديوان الغرب» بكثير أحسن الشاعر في بيان تصوير الإسلام الحياة، وقد أُرِيدَ بهذا النظم أن يكون جزءًا من قصة إسلامية لم تكمل، وإنما أردنا بهذه الترجمة أن نبين عن رأي لگوته فحسب.

يقصد البحر ذا العباب طروبَا | وعزوفًا عن كل شيء غريبَا
ومئات الأنهار في الحزن والسهـ | ـل تناديه: يا فسيح المجال
قد حمانا المسير قلةُ ماء | فارحمَنَّا من بغي هذي الرمال
أفسح الصدر للرياح سريعًا | حاملًا رفقةً ضعاف الحال

يقصد البحر ذا العباب طروبَا
حاملًا جوهرًا كثيرًا عجيبَا

هدر النهر جائزًا كل سَدٍّ | جاز ضيق السفوح والوديان
فاض سيلًا على رُبَى ووهاد | جاز كل المروج والبلدان
هائجًا زاخرًا سريعًا مشوقًا | بجديد يمر كل زمان

يقصد البحر ذا العباب طروبَا
وعزوفًا عن كل شيء غريبَا

الجنة

وأين بجنة لعب الليالي | وليس هناك من فلك يدور
ولا فيها ليوسف غم سجن | ولا فيها زليخا تستجير
وليس خليلها يَصْلَى بنار | ولا بكليمها شرر يثور
وليس لصَرْصَرٍ فيها هبوب | فزورقها على أمن يسير
ولا ليقينها «هل» أو «عسى أن» | ولا لوصالها هجر مرير
وكيف يلذ عقل ذو ضلال | إذا وضحت طريق لا تجور
فلا تحفل بكون فيه نقص | به المولى وليس به الغرور

العشق

العقل يحرق عالمًا | في جلوة منه تغيرْ
لكنه بالعشق يعـ | ـرف كيف في الدنيا ينيرْ
العشق في الأرواح يخـ | ـلق كل لون أو يثيرْ

إنـــي لأذكـــر راقــصًــا ذا الحرف أو هو بي يدورْ
بـالـعـشـق تـرتـاح الـقـلـو ب وإنـه فـيـهـا سـعـيـر
مـا كـل مـعـنًـى يـنـطـوي في اللفظ، كم معنى يثور
أنـصـت لـقـلـبـك سـاعـةً فـلـعـلَّـمـا يـدنـو الـعـسـيـر

لغز السيف

ما جاهد يُنبطُ ماء الحجر لا يهتدي بالخضر كالإسكندر؟
كنظر العين صفي مشرق لا بـلـل وهْـو غـريـق نـهـر
مـصـراعـه مـكـمـل مـنـفـرد لـيـس عـلـيـه مـنـة لـلأشـطـر

الجمهورية

تريد معنى العلى من ساقطي همم وأين للنمل إقدام السليماني[٢٥]
فاتبع حكيمًا ودع جمهورهم، أترى بألف رأس حمار عقل إنسان؟

إلى داعية الإسلام في بلاد الفرنج

الـدهـر عـاد بـنـار نـمـرود جـوهـر الإسـلام رهـن تـجـديـد
هـلـم نُـلـقِ الـحـجـاب عـن حُـرق كالشمس تغشى الورى بتجريد[٢٦]
أمللت حور الفرنج من حكم ورُعـت أصـنـامـهـم بـتـوحـيـد
فقل لأهل الحجاز عن سلمى وبـث فـي الـتـرك شـوق مـعـمـود
عـلـى خـراسـان والـعـراق فـعـج ورد لـلـعـجـم شـوق تـغـريـد[٢٧]

[٢٥] نسبة إلى سليمان الحكيم وقصته مع النمل معروفة.
[٢٦] أي بظهورها دون حجاب وفي الأصل بالعري.
[٢٧] خراسان والعراق من ألحان الموسيقى أيضًا.

كم انتظرنا لعازف ولكم — شجا «جمال» بلحن مفئود[28]
جعلت عشقًا حديث ذوي هوس — نثرت درَّ الكلام بالبيد

غني الكشميري[29]

غني أخو الشعر رب البيان — وبلبل كشمير ذات الجنان
يفتِّح أبوابه إن ندر — ويغلقها جاهدًا إن حضر[30]
فقيل له يا أنيس القلوب — عجبنا وفعلك أمر عجيب
فماذا أجاب الهمام الفقير؟ — فقير بمُلك المعاني أمير:
أإخواننا ما رأيتم سداد — أفي الدار غيري متاع يراد؟
إذا كان في الدار ربُّ العرين — غني ففيها متاع ثمين
وإن غاب عنها أنيس الورى — فلا دار أفرغ منها ترى

إلى مصطفى كمال باشا[31] (حزيران ١٩٢٢)

أمة كانت ومن حكمتها — نحن آثار على مر العصور
قد عرفنا سر تقدير مضى — فمضينا نقتفي سر الدهور
شررًا كنا، أجدنا نظرًا — فإذا شمس على الكون تسير
شيخنا أطفأ في أحشائه — نار عشق فختعنا في فتور
صرصر البيداء في فطرتنا — أذبلتْ ريح الصبا فينا الزهور[32]

[28] جمال الدين الأفغاني.
[29] محمد طاهر الكشميري الشاعر المتوفى سنة ١٢٨٧هـ.
[30] ندر خرج وهي لغة الحجاز اليوم.
[31] كان الشاعر معجبًا بمصطفى كمال إعجابه بالعزم والإقدام، فلما رآه يقلد الفرنج عابه وقال: إن جديده قديم أوروبا.
[32] يعني خلقنا للجهاد فأضعفنا التراف.

وعلـى الأفـلاك دوَّى صـوتـنـا فاسمعنْه اليوم في نوح الأسير
رُبَّ صـيـد قـد أخـذنـا وثـبـة دون أشراك كما انقضَّت صقور
وغـدونـا يـوقـع الـصـيـد بـنـا ولنا قوس وسهم في الجفير
«كلما أمكن طرف فاركضنْ كم أمات العزم تدبير الأمور»[٣٣]

الطائرة

على غصن ورد بوقت السحر نـغـا طـائـر لـطـيـور أُخَـرْ:
«لـقـد سُـلِـبَ الأجـنُـحَ الآدَمِـي ومُكِّنَ في الأرض هذا الغبي»
فـقـلـت لـه: «يـا أمـيـر الـريـاح أفي الحق إن قلته من جناح؟
بـطـائـرة قـد ركـبـنـا الـهـواء شقـقنا بها في عنان السماء
وأيـة طـائـرة فـي الـفـلـك يـفـوت مـداهـا جـنـاح الـمـلـك
لـهـا عـزم صـقـر وأَيْـدُ عـقـاب بـلاهـور تـرنـو إلـى فـاريـاب[٣٤]
تُـدَوِّي وتـزفِـر حـيـن الـسـفـار وفي العشِّ صمت كحوت البحار
من الطين صار لنا جبرئيل من الأرض نحو السماء دليل
وغـى الـطـائـر الألـمـعـي الـكـلام وأبصر ما قلتُه في الخصام
فـأهـوى إلـى ريـشـه يـنـقـر وقــال مــقــالــك لا أنــكــر
فـيـا مـن يـروقـك عـقـد وحـل وفـي قيد سحرك عُلْوٌ وسُفْلُ
أأصلحت في الأرض بعد عناء فـجـئـت لـتـصـلـح جـو الـسـمـا[٣٥]

[٣٣] البيت الأخير للشاعر نظيري.
[٣٤] لاهور في باكستان، وفارياب في تركستان.
[٣٥] البيت الأخير للشيخ سعدي الشيرازي.

العشق

هو الحق ضاعت عليه القلوب وليس بسر وسرًّا يرى
هلم أنبئْك قول الخبير بمن قد رواه وعمَّن روى
وعاه الندى خلسة في السماء وأسمعه الورد قطر الندى
وباح به الورد للعندليب عن العندليب روته الصبا[٣٦]

[٣٦] أبيات تمثل تطور العشق من قطرة إلى غناء بلبل إلى خفق الريح.

الخمر الباقية

غزليات

حَبَا الربيع رُبَانَا … محافل التغريد
فاستيقظت أكمام … للبلبل الغِرِّيدِ
لا تحسبنْ أن خُلِقْنَا … في صبح دهر مديد
فما نزال خيالًا … حوى ضمير الوجود
لا تغتَرِرْ بعلوم … الكاس خير شهيد
إنَّ الفقيه مريب … فلا تكن بمريد
ضَمَّ الربيع شتيت الـ … أوراد بالتنضيد
وبث ريحًا ولونًا … أنظارنا في الورود
من يُحكمن نظرات … لنفسه في شهود
لم يَشْدُ يومًا بغيب … كلا ولا موجود
قد قال في الحان فاسمع … مقال شيخ رشيد:
في كل دهر خليل … والنار من نمرود[1]
لا تَلْحَيَنْ أهل دير … فالعشق جِدٌّ عنيد

[1] إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل ونمرود الذي ألقاه في النار.

أقـــــام أوثـــــان حـــــب   فـي الـقـلـب مـن مـحـمـود[٢]
يــضــيــع شــدو حــيــاة   يــنــســاب بــيــن الــهــنــود
فــالــمــيــت لــيــس بــحــي   بـــالـــفـــخ مـــن داود

* * *

عقلـنـا ينـحـت ربًا كل حين   فهو من قيد إلى قيد رهين
أرفـع الـبـرقـع جـهـرًا لا تُـبـل   ليس في حيك غيري ذو حنين
أنـا مـن عـيـنـي غـيـور نـاسـج   نظراتي لك سترًا في العيون
بـسـمـة خـلـس ودمـع ورنـا   ليس في الحب سواها من يمين
حبذا العشق ففي يوم النوى   زاد بـالـلـوعـة عـهـدًا لا يـمـيـن
أيها الطائر من صدري اقبسَنْ   لـتـزيـد الـنـار فـي هـذا الأنـيـن
عـود تـيـمـور مـضـى لا لـحـنـه   هـو فـي لـحـن سمرقند يبين
سـادن الـكـعـبـة لا تـأذن لـه   فــلإقــبــال إلــه كــل حــيــن

* * *

شـــكـــواي أمـــر عـــجـــيـــب   مـن نـور عـيـنـي شـكـاتـي
فــنــظــرتــي لــي حــجــاب   وأنـــت فـــي الـــجـــلـــوات
أبـــلـــغ خـــلائـــق نـــور   ألـــحـــق مـــن كـــلـــمـــاتـــي[٣]
حـــذار كـــف تـــراب   لـلـنـفـس فـي نـظـرات[٤]
فـــي مـــحـــفـــل مـــن ربـــيـــع   نـــذوب مـــن حـــرقـــات
بـــالـــريـــش مـــنـــا شـــرار   فـــي الـــفـــجـــر مـــن آهـــات
يـــا واهـــن الـــنـــفـــس تـــدري   مـــن أيـــن لـــي نـــغـــمـــاتـــي؟
حـــواك كـــون بـــعـــيـــد   مـــن عـــالـــمـــي وجـــهـــاتـــي

[٢] السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب بمحطم الأصنام.

[٣] يعني بخلائق النور الملائكة. م.

[٤] كف التراب: الإنسان، والنظر إلى النفس من فلسفة إقبال التي سماها أسرار خودي. انظر المقدمة. م.

مثل الشقيق تراني … بالروض في حسرات
والقلب عُرضة رمي … من أسهم اللحظات
في عرف أهل قلوب … الكدح سر الحياة
لكعبتي لم أسافر … للأمن في طرقاتي
وكم قبيل أقاموا … وأدبروا في شتات
في دارة ضاء فيها الـ … ـهلال في مشكاة[٥]
فاخلق بطينك خلقًا … ذا يقظة وحصاة
مثل ابتسام شرار … تلبُّث الفرصات[٦]
إن لم تكن ذا فضول … فتلك إحدى نكاتي:
العشق أبعد شأنًا … من ضائع الأنَّات
في العجم أذكى نشيدي … ما باخ من جمرات
والعُرب من نار شوقي … لم تأتهم نفثاتي

* * *

في ذلك الحفل سؤلي … عن محرم بي حقيق
لذاك أزجي غنائي … وفيه لحن الصديق[٧]
في خلوةٍ كل لفظ … فيها كستر صفيق
يبث قلبي حديثًا … بمقلتي وبموقي
من أجل نظرة وجد … لوجهك المرموق
مطهر نظراتي … بدمع عين طليق
كالكم كل أموري … لعقدة ولضيق[٨]
لكن لجلوة شمس … أنمو بقلب مَشُوقِ

---

[٥] يعني الدنيا جعلها دارًا صغيرًا فيها القمر كسراج في مشكاة. م.

[٦] جمع فرصة. م.

[٧] اللحن: الرمز في الكلام. م.

[٨] يتخيل الشاعر أن كم الزهر لانطباقه معقود. م.

كالموج ليس كياني ... يهاب سيل العقيق[٩]
ولست في البحر أبغي ... إلى الشطوط طريقي
ما بين عين ورأي ... بيني وبين صديقي[١٠]
مهما تباعد عني ... فكل حين رفيقي
قد خطَّ في ستر عيني ... نقوش كون أنيق
بشعوذاتٍ أراني ... في قيد سحر وثيق
في قُبَّة قد أحاطت ... لا أرتضي بالضيق
شوك بجنب سماء ... لا بُدَّ لي من مروق
لا أستريح بعُشٍّ ... من لذة التحليق
طورًا بشاطئ نهر ... طورًا بروض شقيق[١١]

* * *

المغني الصبيح في ألحان ... ورياض الربيع ألواح ماني[١٢]
وتحني دم الربيع شقيق ... أي ظمأ به إلى الألوان؟
نغمة تفتح العيون لمعنى ... ضاق عنه طرائق التبيان
فتأمل بعين عشق وأبصر ... منه آيًا تضيء دون بيان
فعيون العقول تظهر فيها ... هذه الكائنات سحر العيان
وعن العشق خذ دروس جهاد ... وافعلن ما تشاء في كل آن
إنما العشق جوهر لشعور ... وهو روح الإدراك والعرفان
ولنا غاية من الشمس أعلى ... إنما الشمس صوَّة الركبان[١٣]

---

[٩] العقيق كل سيل كبير يشق الأرض، ووادٍ بالمدينة. م.

[١٠] الرأي: رأي العين. م.

[١١] في هذا إشارة إلى الصور التي تسمى خيال الظل، فالستر يظهر عليه الخيال لا الحقيقة فهو يقول إن هذا العالم نقوش في ستر العين تخدع عن الحقائق. م.

[١٢] ماني صاحب مذهب المانوية، كان ماهرًا في التصوير وترك ألواحًا مصورة في كتاب عرف باسم أرژنك ضرب به المثل. م.

[١٣] الصوة: أحجار تجعل علامة على الطريق.

إيه يا قطرة عن النفس تاهت　　تطلبين المحال في الأكوان
إن عارًا معيشة البحر إن لم　　تطلعي منه درة ذات شان
يا جهولًا بقدر نفسك لولا　　أنت كان العقيق كالصوان[١٤]

* * *

قد هدمت الأصنام لم أَرْضَ شكلًا　　أنا سيل هدمت كل سدودي
ومن العشق قد رأيت كياني　　كان عقلي يريني بوجودي
وبديرٍ ضراعتي وهواني　　وصلاتي بكعبة التوحيد
ومن الذكر سبحتي بيميني　　فاعجبن من زنَّاري المعقود
منبع الحزن فيك غير نضوب　　دمع قلبي حبسته عن خدودي
راق قولي، وسيرتي لجنون:　　خمر شوق لسكرتي وشهودي

* * *

طوبى لمحرق عقل　　بنار راح عتيق
من يغتني بمتاع　　من ناره كالشقيق
أوحى الربيع إلى الزا　　هدين بيع الدلوق[١٥]
فاغرس بكاس الحميَّا　　بستان وجه أنيق
قلبي رثى لفقيه　　مجاورٍ بالعتيق
ما ابتاعه شيخ حان　　فتوى بكاس رحيق
اللحن لا تقدُرنه　　على غنائي الرقيق
فبرقة اللحن تغشى　　إسكندرًا بحريق
لروض «ويمر» تهدي الـ　　ـصبا سلام مشوق[١٦]
فذي الديار أضاءت　　لعين ذي تحقيق

[١٤] يعني أن الإنسان جهل قدر نفسه وقدر أشياء ليس بها قيمة إلا بتقديره.
[١٥] جمع دلق: لباس بالٍ مرقع يلبسه الزهاد والشحاذون. م.
[١٦] مدينة في ألمانيا أقام فيها الشاعر گوته كثيرًا ومات ودفن بها.

***

نوح ليلي القلق ... والهموم في الفلق

والأنين من شرر ... والقريض من حرق

أين حرص مجتهد ... من تضرم العشق

ذاك فأس فرهاد ... ذاك خسر في مذق[١٧]

قل لساكني حجب ... عن ترابي القلق:

ذا الغبار ذو نظر ... ذا التراب ذو فلق

مطربي! تسكرني ... وتزيد في حرقي

نغمات مستحر ... بالقلوب ذي علق

من حذار أرض سمر ... قند بتَّ في فرق

من هجوم جنكيز ... أو هُلاكُ في الحلق[١٨]

هات مطربي غزلًا ... نظم مرشدي اللبق

لأفوز من لهب الـ ... ـتبريزي بالحرق

***

منيتي أن يتجلى ... ذلك البدر التمام

فيدي تمسك صدري ... وبعينيَّ اقتحام

ويقول الحسن: صبحي ... ليس يغشاه ظلام

فيقول العشق: وجدي ... ليس يخبر والهيام

ليس من يومي وأمسي ... وغدي فيَّ زمام

ليس لي نجد وغور ... ليس يحويني مقام

خمرة الأسرار أبغي ... وكئوسًا لا ترام

---

[١٧] فرهاد المهندس وخسرو برويز ملك الفرس، وكان وعد فرهاد أن يهب له معشوقته شيرين إذا شق طريقًا في الجبل، ففعل ولم يظفر بأمنيته فضُرب فرهاد مثلًا في العشق الخائب. م.

[١٨] أشار إقبال أكثر من مرة إلى سمرقند وجنكيز كأنه يشير إلى ما أصاب المسلمين من هذه النواحي. م.

وبحانات مجوس — دائر عندي جام[19]
لا تقُل: ما لي ولحنًا — لا يرى فيه انسجام
فأنا طائر غيب — عن حبيبي لي كلام
أرفع الستر وأشدو — لي في اللحن مقام[20]
أنا صمصام دماء — لي بالغمد كعام[21]

***

غصن الحياة ندي — من ظمئنا في الطلاب
عين الحياة أراها — تَعِلَّة الهيَّاب[22]
فمن أبث حديثي — وأين أزجي ركابي؟
ولا تؤثر آهي — ونظرتي في حجاب
فزمزمن في غباء — واخفض نواح الرباب[23]
فلا تزال طيور — تنوح تحت نقاب
أهل الحجاز تولوا — قوافلي بسلاب
حبيبنا عربي — فلا تفُه بعتاب
بوزن عُجم وهند — لا تبغ وزن خطابي
فأصل هذي اللآلي — بالليل دمع انتحابي
هلم فالراح عندي — من دنٍّ عالي الجناب[24]
وخمرة القول أصبى — من خمرة الأعناب

---

[19] المجوس في الشعر الفارسي كالنصارى في الشعر العربي يذكر الشعراء خمرهم وحاناتهم. م.

[20] من مقامات الموسيقى. م.

[21] الكعام — الكمام للجمل الذي يخشى صياله — وبالفتح جمع كعم وهو وعاء السلاح. م.

[22] عين الحياة في الأساطير عينٌ مَنْ شَرِبَ منها لا يموت، وقد شرب منها الخضر، والشاعر يقول: إن الحياة هي عطشنا في الكفاح لا ورود عين الحياة. م.

[23] الزمزمة كلام خفي. م.

[24] جلال الدين الرومي. م.

* * *

من كرى الموت لا تفيق عيون دون نور تفيضه من سناكا
إن من دونك الوجود محال ومحال فناؤنا في حماكا
قد حوى الكون قلبنا وهو فيه عقدة لا تحلُّ فاكظم فاكا
نغماتي الضعاف أحرقن صحبي حرقتي نغمة أبت أن تحاكا[25]
إن تضن الصبا بطَلٍّ فدعها نار قلب الشقيق تأبى فكاكا[26]
فإلى الحق وجِّه القلب واصبر لا تؤمل بغيره إدراكا
سُدَّةُ الوُثْن هذه وعليها[27] جبهات الأباة تأبى حكاكا

كتب إلى أحد الصوفية

لهيب الوجد من أسماء لا عندي ولا عندك[28]
وحر القلب في بيداء لا عندي ولا عندك
وشيخ أنت في حان وإني ناشئ ساق
عطاش نطلب الصهباء لا عندي ولا عندك
رهنًّا قلبنا والدين حب الغيد من عجم
ونار الشوق من ظمياء لا عندي ولا عندك

[25] أبت أن تنسبح يعني لا يستطاع إظهارها. م.
[26] يتخيل الشاعر أن الطل يخفف من حرقة الشقائق الملتهبة. يقول: لا نبالي إن لم يسقط الطل فهذه النار لا تفارقنا بأية حال. م.
[27] الوثْن جمع وثَن. م.
[28] في هذه الأبيات مثالان من الشعر الفارسي الأول أن وزن الهزج فيه مفاعيلن ثماني مرات وهو في العربية لا يزيد على أربع، والثاني القانتي المردوفة والردف هنا «لا عندي ولا عندك» والروي الهمزة الممدودة قبلها. م.

حطام كان أصدافًا على شط لقطناها
فقدنا الدرة البيضاء لا عندي ولا عندك
وبلوى يوسف المفقود من يسطيع ذكراها
وخفق القلب في زلخاء لا عندي ولا عندك[٢٩]
كفانا النور في المصباح قد أخفته أستار
فطوق النور في سيناء لا عندي ولا عندك[٣٠]

* * *

قلبنا كون ولكن
ما به دور القمر
دوران ليس فيه
من عَشِيٍّ أو بُكَرْ
ويل ركب قد أسَفَّ الـ
ـعزم فيه وضمر
فهو يرتاد طريقًا
ليس فيها من خطر
فدع العقل وموج الـ
ـعشق صارع لا تقر
فبذاك النهر ضيق
ليس فيه من درر
كل ما يجري خيالك
أو خيالي في الأثر
هو في العين ولكن
مستسرٌّ كالنظر

[٢٩] زلخاء: زليخا عاشقة يوسف الصديق. م.
[٣٠] الطوق: الطاقة. م.

* * *

غـــيـــر مُـــجْـــدٍ بـــكـــاؤنـــا
ويـــلـــتـــا ضـــاع ذا الـــنـــغـــم
نـــوح قـــلـــب مـــمـــزقٍ
حـــاصـــل الـــغـــم والألـــم
خـــفـــق الـــقـــلـــب ســـاعـــيًـــا
يـــخـــلـــق الـــديـــر والـــحـــرم
هـــو فـــيـــنـــا مـــحـــدق
نـــحـــن فـــيـــه عـــلـــى قـــدم
نـــبـــذ الـــســـتـــر أهـــلـــه
لُـــذْتُ بـــالـــنـــفـــس فـــي حـــرم[31]
غـــيـــرة الـــعـــشـــق فـــانـــظـــرنْ
أيـــنـــا شـــوقـــه احـــتـــدم[32]
مـــطـــرب الـــحـــان فـــي الـــدجـــى
قـــد شـــدا مـــعـــجـــب الـــحـــكـــم
ذوقُ راح مـــحـــرَّم
شـــرب راح لـــنـــا أَمـــم
هـــي ســـيـــر حـــيـــاتـــنـــا
مـــا ســـوى الـــســـيـــر يُـــغـــتـــنـــم
لـــيـــس لـــلـــمـــوج مـــنـــزل
أو طـــريـــق إذا الـــتـــطـــم

[31] أهل السر: الذين في عالم الغيب، والشاعر على مذهبه في الذاتية يقول إنه لم يُبَالِ بالنظر إلى عالم الغيب، بل نظر إلى نفسه، وإن عشقه الغيور لم يتجه إلى غيره، بل غيره نظر إليه.
[32] جلال الدين الرومي. م.

أشعل النار في هشيـ
ـمي من قال في القدم
«منزل الكبرياء لي»
مرشد الروم ذا العلم

* * *

أبدِ من طينك نارًا تضمر
لا تجلٍّ بعد هذا يقدر
مُلك جم «لنظيري» مصرع:
«ليس من قومي من لا يُنحر»[٣٣]
ساحر العقل يعبِّي جنده
لا تُرع للعشق جند ينصر
بمقام ولحون لم تحط
عود سلمى كلَّ لحن يقطر
نظري في النفس أحكمت فلم
يتوجه لسواها النظر
فتجلَّى الحب في كل الدنى
وأنا في شغل لا أنظر
ما جنون العشق في البيد سدى
في قرى الحسن تعالوا نجأر[٣٤]
وبصيد الوحش في البحر اهتفن
لا تقل: زورقنا لا يبحر
ملء عينيَّ دليل ما مضى
في طريق ليس فيها خطر

[٣٣] نظيري النيسابوري شاعر فارسي كبير، وجم هو جمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية. م.

[٣٤] أحسبه يشير إلى مجنون ليلى وهيامه في البيد، ويعني أن هذا الهيام في فضاء الطبيعة لا بد أن ينتهي إلى صلاح الجماعات في القرى. م.

اصحبن شربًا خليعًا واحذرن
عهد شيخ ليس فيه ذأر[35]
غاية الإفصاح لمح وكنى
فلُغى الخلوة رمز يعبر[36]

* * *

تضيق بدار أصنام
ولا ترضى بمحراب
ولكن نحو مشتاق
تسير بشوق أصحاب
فأقدم واتخذ مغنا
ك في أرواح أحباب
وكيف وأنت رب الدا
ر تدخل خطو مرتاب؟
تغير على ذوي التسبيـ
ـح تحمل كل أسلاب
وتطرق أهل زنَّار
بليل فعل نهاب
وطورًا جحفل لجب
لسفك دماء أصحاب
وطورًا في جماعات
بكاسات وأكواب
وتأتي باللهيب إلى
كليم غير هيَّاب[37]

---

[35] الذأر: الشرة وحِدَّة الخُلُق. م.

[36] يعبر كتعبير الرؤيا. م.

[37] إشارة إلى النار التي لاحت لموسى الكليم. م.

وتأتي كالفراش إلى
يتيم شمعه كابي[38]
فيا إقبال خذ كاسًا
بخمر «الذات» لهاب
سقاك الغرب من كاس
لنفسك منك سلاب

***

لذعات حان العُجم ليست
كُفْءَ ناري الحاميَةْ
ذا أحمد العربي نظ
رته تحيط جهاتيَهْ
ما حيلتي والعقل في
عُقَدٍ له متواليَةْ
نظرات عينك، فانظرن
حلت طلسم مجازيَةْ
حيل العقول تفوقُها
خفقات قلبي الداميَةْ
فاهجر كنيس تفلسف
لحريم ناري الحاميَةْ

***

أنت كالمرآة تفنى في جمال الآخرين[39]
فاغسلن قلبًا وعينًا من خيال الآخرين

---

[38] إشارة إلى اصطفاء الرسول صلوات الله عليه. م.

[39] وهذه قطعة أخرى بُنِيَتْ على الرَّمَل المثمن، والرمل في الشعر العربي لا يزيد على ست تفعيلات، والقافية فيها مردوفة بكلمة الآخرين، والروي اللام التي قبل الرديف. م.

من نواح الطير في الأحرام فاقبس واحرقن[٤٠]
ذلك العش الذي شدت بمال الآخرين
وتعلم جاهدًا خفق جناحيك وطِرْ
أنت لا تسطيع طيرًا بحبال الآخرين
أنا حر وغيور مسرف في غيرتي
ممكن قتلي بكاس من زلال الآخرين
إيه يا أقرب من روحي ولا أبصره
عندنا هجرك أحلى من وصال الآخرين

* * *

عندليب الربيع جُنَّ غناء
وعروس الشقيق تزهى بهاء
لا مغنٍّ ولا مزاهر فيه
ذاك لحن من المغيب جاء
محرم السر من يسدد ضربًا
في وتار الحياة أيان شاء[٤١]
من وراء الستور أنبئت سرًّا
لست أفشي فالدهر لعبًا أساء[٤٢]
لا تعنِّف وخذ سبيل وداد
قدَّر الله في الحياة التقاء
أين في دارة التراب مقام؟
كل شيء كالرمل يمضي هباء
زهرة من رياض كشمير جسمي
وبأرض الحجاز قلبي أضاء

---

[٤٠] الأحرام: جمع حرم. م.

[٤١] الوتار: جمع وتر. م.

[٤٢] إشارة إلى الألعاب من وراء الستر كالذي يسمى خيال الظل. م.

وأغانيٌّ والـلحون نمتها
أرض شيراز حبَّ ذاك انتماء

* * *

نحن ترب، وكالنجوم سفارَا
من خضم الزرقاء نبغي قرارَا
نحن من شعلة الحياة جميعًا
لذة «الذات» فرقَّتنا شرارَا[٤٣]
قل لأهل السماء: إن ترابًا
نال بالعقل في السماء مطارَا
نحن في العشق زهرة في نسيم
وبِكَدِّ الحياة نقدح نارَا
نحن في المرج نرجس ناظرات
كلنا أعين فألق الستارَا

* * *

ليردَّ العرب دمعي داميًا
روضة تنبت وردًا وشقيقَا
وليرد العجم أنفاسي وقد
صوَّحت جناتهم، روضًا أنيقَا
من حياة وخلود كدحنا
يا ترابي! فلتكن قلبًا خفوقَا
صحب الله فؤادي هائمًا
سار لا يرضى مقامًا أو طريقَا
صور اليأس على آفاقنا
عقلنا اليائس فاحذره رفيقَا

[٤٣] يعني لذة الاستقلال والوحدة كما يرى الشاعر في فلسفة «الذات». م.

وبعود قطعت أوتاره
قد حبا قلبًا إلى اللحن مشوقًا
أنت نشء وكلامي شعل
علَّ شدوي مضرم فيك حريقًا
ليس في قلبي إلا أن أرى
قطرة فيك غدت بحرًا عميقًا
لا عرى الروح هدوء ولتكن
بحياة الكد والكدح خليقًا

***

لا التاج يزهو عليه
ولا سنا الزينات
فقير حيٍّ لكن
من الملوك الأباة
في الشيب ماتت قلوب
وفتية في سبات
فما لصدر نصيب
في الفجر من آهات
لا تقعدن عن طلاب
في واسع الفلوات
فما بعصرك هذا
هادٍ إلى الطرقات
غفلت عن سر وقت
أضعته في شتات
وقت عداه حساب
بالشهر والسنوات
هذا الرباط قديم
ما فيه عيش مواتي

غفلت عن سر عيش
وعن جهاد الحياة
ماذا يخط من الذنـ
ـب كاتبًا الهفوات
دنياك ما قد أصبنا
فيها سوى نظرات
إقبالًا الحر أمسك
بذيله في ثبات
فما يرى في رباط
من بائعي الخرقات

* * *

عشقي الجريء صدره سعير
وحكمتي عن شرر تخور
إن يكمل الهيام صار دلًّا
قيس بـ«ليلى» عندنا شهير
إليك جئت في سجود وجد
سيماه فوق جبهتي تفور
هب سيف «لا» لكافري وأبصر
«إلا»ي كيف في الدنى تثور[٤٤]
لا بد من دور يعيد أمسي
في جلوات من غدي يسير
نورك فيه للدنى نصيب
«سينا»يَ كيف فاتها تنوير
أحدِّث الرحمن في حجاب
وفي حماك منطقي جهير

[٤٤] يشير إلى النفي والإثبات في لا إله إلا الله؛ يعني هب لي أنا الكافر توحيدًا وانظر فعلي. م.

أيـــا رســـول الـــلـــه إن ربـــي
مـــحـــجـــب وأنـــت لـــي ظـــهـــور

* * *

أسـفـي عـلـيـك نـحـتَّ أصـنـامًـا أخـر
عَـودًا ولـم تـبـحـث بـقـلـبـك عـن أثـر[45]
أسـفـي عـلـيـك صـهـرت فـي نـار الـفـرنــ
ــج ومـن لـحـاظ الـعـيـن روحـك قـد قـطـر[46]
أسـفـي عـلـيـك فـمـا وُزِنْـتَ بـنـظـرة
فـي حـلـة فـيـهـا الـتـراب لـه قـدر
أسـفـي عـلـيـك قـرأت أسـفـار الـعـقـو
لِ ومـا فـهـمـت حـديـث وجـد يُـسـتـطـر
أسـفـي عـلـيـك تـطـوف مـن ديـر إلـى
حـرَم وفـي مـعـنـاك لـم تُـجِـدِ الـنـظـر

[45] هذه الأبيات مردوفة في الأصل تكرر في أواخرها الكلمة التي ترجمتها «أسفي عليك» وقد كررتها في أول كل بيت. م.
[46] ذاب في نار الفرنج وأفنى نفسه بالنظر إليهم وتقليدهم. م.

نقش الإفرنج

أبلغي يا ريح عني عالم الإفرنج جهرًا:
أنما العقل أسير زاده التحليق أسرًا
يتحدى العشق برقًا منه هذا العقل فرًّا
سحر العقل، وكان الـ ـعشق بالأكباد أدرى
تبصر الأعين لونًا حينما تبصر زهرًا
ووراء اللون معنى هو أجلى منه يُدرى
ما عجبنا أن إعجا ز مسيحٍ نلتَ خُبرًا[1]
قد عجبا لمريض داؤه عندك أشرى[2]

تجمع العلم وتلقى القـ
ـلب لا ترغب فيه
آه ذا نقد ثمين
ضاع في كف سفيه

إنما الحكمة أمر ليس فيه من نهايَةْ
ليس في كتَّابها للـ ـحب والعشق بدايَةْ[3]

[1] الخطاب لعالم الإفرنج.

[2] شرى الداء إذا اشتد، وأشرى للتفضيل؛ يعني أنه كالمسيح في المعجزات، ولكنه لا يشفي.

[3] أي ليس في كتابها ألم العشق وحزه كما يبرى القلم. م.

قطعت سبل قلوب يقظات بالعمايةْ
ذات طرف ذي كلام هو في الفتنة آيَةْ
ودلال لا ترى فيـــ ـه إلى القلب سرايَةْ
ليس فيها لذة الـ ـوخزة من غمز الرعايَةْ
طوت البيد ولم تظـ ـفر بظبي في النهايَةْ
طافت البستان لم تبـ ـلغ من الأزهار غايَةْ

فهلموا نسأل العشـ
ـق سدادًا ورشادَا
واقصدوا العشق سجودًا
وابلغوا منه مرادَا

* * *

سلك العقل طريقًا ذا شعاب حين سارا
ملأ العالم هرجًا وأصار الماء نارَا
في يديه كمياء ردت الرمل نُضارَا
لم يضع إكسير حب في قلوب أو أنارا
سحره قد خال فينا فقلبناه جهارا
ذاك قطَّاع طريق قطع السبل نهارا
فنه قد هدَّم الـ إفرنج والنقع أثارا
ثم في مقلة عيسى ذر من ذاك غبارا

كم زرعنا من شرار
وحصدنا من لهيب
كم عقدنا وحللنا
عقدًا فوق القلوب

* * *

أين من خفق الشواهيـ ـن جناح العندليب
أين من يلقط من حَبٍّ على الأرض تريب

من فتى يلقط عنقو   د الثريا لا يخيب
أين من يسري بروض   كنسيم في هبوب
من بصير في ضمير الـ   ـزهر للسر يصيب
أين فوق الأرض ظن   سار أو شك مريب
من طموح جاوز الأفـ   ـلاك للمسرى الرحيب

حبذا عقل فسيح
قد أحاط العالمين
نور أملاك ونار الـ
أُنس فيه دون مين

نحن من خلوة عشق   قد برزنا بالسجايا
فجعلنا موطئ الأقـ   ـدام في الأرض مرايا
فانظرن همتنا كيـ   ـف لعبنا بالعطايا
قد أضعنا الكون جهرًا   حين حزناه خفايَا[٤]
قد نزلنا شط نهر   نبصر الموج سرايا
تبصر الأعين سطرَا   من غدو وعشايا
قلبنا بيَّت هذا الـ   ـدير لا يبغي سبايا[٥]
فرمى النار برطب   ويبيس في البرايا

شعلة كُنَّا جميعًا
وانتثرنا كالشرر
أهل شوق وحنين
ورجاء ونظر

أصبح العشق غَوِيًّا[٦]   قاطعًا كل وكاء

---

[٤] يعني استولينا عليه بقوة أرواحنا وبذلته أيدينا احتقارًا. م.

[٥] في الأصل: الدير القديم وهو كناية عن الدنيا. م.

[٦] أحسب الشاعر يقصد في هذه الأبيات إلى أن العشق وهو الوجدان السليم قد صار هوى وطمعًا ففعل ما فعل. م.

فتنة للناس فيها خَفق حوت في العراء
آثر الحرب على الخفـ ـض وعبَّى للقاء
لم يُرَوِّ السيف إلا من صدور الأوفياء
قطع الطرق وسمَّى الـ ـقطع حفظ الأمناء
أخذ الدف وغنَّى راقصًا دون حياء
رافعًا في الكف كاسًا من دماء الأصفياء

حان أن نحدث نهجًا
ونجدَّ النظرا
فاغسلن لوح فؤاد
وأجِدَّ الأسطرا

لحن إسكندر ولَّى وتقضى لحن دارَا
وأتى فرهاد يبغي ملك برويز جهارَا
يوسف فارق سجنًا وعزيز الملك صارَا
وخرافات زليخا ورُقاها تتوارى
كل سرٍّ كان يخفى غشي الشوق نهارا
ومضى حفل الندامى وبريق القول بارَا

فافتح العين وأمعِنْ
لترى ما لا ترى
إنما تبني الحياة الـ
ـيوم كونًا آخرَا

أنا في الأرض بصير عارف سر الحياة
أبصر الذرات طرًّا كنجوم ناظرات
وأرى الحبة تحت الـ ـترب من قبل نبات
ذات أصل وفروع وثمار يانعات
وأرى الأطواد ريشًا في رياح قلقات
وأرى الريش ثباتًا كجبال راسخات
وانقلاب ليس يحويـ ـه ضمير الكائنات

قـد أراه لـسـت أدري　　كيف في العين يواتي
حبَّذَا المبصر جهرَا
فـارسًـا فـي ذا الـقَـتَـر
ويـرى جـوهـر لـحـن
فـي اهـتـزاز بـالـوتـر
بـالـحـيـاة الـنـهـر جارٍ　　وسيجري في مضاء
عـاتـق الـراح فـتـيٌّ　　وسيبقى في فُتاء
كـل أهـل لـوجـود　　سوف يحظى بالضياء
ووجـود غـيـر أهـل　　سوف يحويه الفناء
إنـمـا الـعـشـق عـيـون　　ترقب الحسن ظماء[٧]
ومُنى الحسن ظهور　　وسيبدو في جلاء
إن هـذي الأرض فـيـهـا　　لـي دمـوع مـن دمـاء
سيرى الدمع عقيقًا　　في حشاها ذا بهاء
«في ظلام الليل جاءتـ
ـني من الصبح بشاره
أطفئ الشمع ولاحت
لي من الشمس أمارةْ»

جمعية الأمم

بـؤسـاء الأرض رامـوا سـنـنـا　　لتزول الحرب في هذي العصور
وسـمـعـنـا أن نـبَّـاشـي قـبـور　　شركة شادوا لتقسيم القبور

[٧] هذا البيت ضمن في شعر إقبال وهو الغالب.

شوبن هاور ونيتشا[8]

طار من عشه يسير بروض فأصابته شوكة من زهور

لعن الروض والزمان ونادى بثبور لنفسه والطيور

ورأى وسمة الشقائق جورًا وطلسم البرعوم خدع خبير[9]

قال ذي الدار شيدت باعوجاج كل صبح بها إلى ديجور

ناح حتى تقاطرت نغمات من دما، بدمع عين غزير

وشجا الهدهد النواح فوافى ينزع الشوك من جناح الكسير

قال: أخرج من كل خسرك ربحًا مزق الورد صدره للعبير

واجعل الجرح بلسمًا فسترضى

وألف الشوك تغد كلك روضَا

الفلسفة والسياسة

لا تقيسوا فلسفيًّا بارعًا بسياسي، وبالعدل احكموا

ذاك عين جهرت[10] في شمسها وجمود عين ذا لا ترحم

ذاك في الحق دليل واهن ذا لدى الباطل قول محكم

نيتشا

ثار من ضعف الأناسي قلبه فبرى الخلق المكمل لُبه

فتنة في الغرب من ذي جنون كان في دار الزجاجي ضربه

[8] فيلسوفان ألمانيان معروفان: الأول متشائم والثاني يُعجب بالقوة واحتمال الشدائد في هذه الحياة. م.

[9] في الشقيقة سواد يجعلها الشعراء وسمة من الحرقة، وطلسم البرعوم يريد به انطباقه وانبهاعه كالطلسم. م.

[10] جهرت العين لم تبصر في الشمس. م.

بايرن[11]

قطرات رشحت من كاسه   شعلة تنمو كورد وشقيق
ذو رسالات بها حرُّ الجوى   فرسول الحب منها في حريق
ضاق بالإفرنج بردًا طبعه   فهو في الأوطان في غم وضيق
وخيال كم بنى من ملعب   فيه للحور مراح وبريق
جلوات للشباب ائتلقت   فهو في الغشية منها لا يفيق
طائر فارق عشًّا ورأى   حلق الشباك[12] أولى بالحلوق

جلال وهيگل[13]

ليلة بتُّ أعاني حلَّها   مشكلات لحكيم الألمان
ذاك من أبرز في إبداعه   أبديُّ الكون من ستر الآني[14]
يخجل العالم من أفكاره   شاكيًا ضيق زمان ومكان
سرت في بحر له فالتطمت   سفن العقل بموج الطوفان
نفث النوم بعيني سحره   فحماني فكر باقٍ أو فاني
وأحدَّ الشوق طرفي فإذا   نور وجه لحكيم رحماني
إنه الشمس تجلَّت في الضحى   كل أفق بسناها نوراني
نوره في مظلم الأفق سرى   كمنار في طريق الركبان
تنبت الأفكار في ألفاظه   مثل ما ينمو شقيق النعمان
قال: قم يا أيها النائم! هل   تمخر السفن سراب القيعان

«في طريق العشق بالعقل يسار؟

[11] الشاعر الإنكليزي المعروف.

[12] بايرن فارق وطنه إلى بلاد اليونان لنصرة الثائرين بها ومات هناك والشباك الشبكة.

[13] جلال الدين الرومي، وهيگل الفيلسوف الألماني.

[14] يريد أنه أدرك من الشيء الموقَّت حقائق أبدية، والآني نسبة إلى الآن. م.

بسراج تبتغي شمس النهار»[15]

بتوفي (شاعر مجري قُتِلَ شابا في الدفاع عن وطنه، ولم يُعثر على بدنه لتبقى له ذكرى أرضية)

لعروس الرياض غنيت حينًا زدت قلبًا جوًى وأسليت قلبَا
وخضبت الشقيق من دمك المسـ ـفوك وجدًا وجل ذلك خضبَا
كم بآه الصباح في المرج يسري في صدور الأكمام فتحت قلبَا
نغمات من الجوى ذبت فيها في «مزار» القريض تدفن حبًّا
وإلى الترب لم تعد بممات ذاك حق فليس أصلك تربَا

جلال وگوته[16]

شاعر الألمان في روض أرم[17] فاز بالصحبة من شيخ العجم
شاعر يشبه ذا العالي الجناب ما نبيًّا كان لكن ذو كتاب[18]
قصَّ للعارف بالسر القديم ما وعى إبليس والشيخ الحكيم
فأجاب الشيخ: يا رب العلاء أنت صياد ولكن في السماء
قد خلا فكرك في القلب السليم فأجدَّ الروح في الكون القديم
فرأيت الدُّرَّ في قاع البحار ودبيب الروح من خلف الستار

[15] البيت الأخير للرومي.
[16] شاعر الألمان گوته صاحب القصة المعروفة فوست، وفي هذه القصة يبين الشاعر درجات تطور الإنسان في إطار من رواية قديمة عن العهد الذي كان بين الحكيم فوست والشيطان، وقد بلغ فيها الفن درجة لا يدركها الخيال.
[17] يقصد الشاعر بأرم: الجنة. م.
[18] شيخ العجم: جلال الدين الرومي، والبيت الثاني من قول الجامي عن الرومي: ماذا أقول في هذا العالي الجناب، لم يكن «نبيًّا» ولكن له كتاب. م.

ليس كلٌّ قد تجلَّى العشق لَهْ ليس كلٌّ أهل هذي المنزلَةْ
«قد تجلى لسعيد ألمعي مكر إبليس وعشق الآدمي»[١٩]

رسالة برگسون[٢٠]

إذا ما شئت أن تحظى بسر تبوح به الحياة لمستجيب
فلا تبعد بنفسك عن لظاها كما جفل الشرار عن اللهيب
ولا تصحب سوى نظر عريف ولا تمرر بأرضك كالغريب
وما صورتَه وهم فأعدد لعقل شبَّ في أدب القلوب

حانة الفرنج[٢١]

عهد حانات فرنج ذكرنِّي يا خليلي
ربَّت الخمرة فيها عين خمَّار جميل
نظرة الساقي رسالا ت لشرَّاب الشمول
عقلها الخاتر غاز عشقها كل سبيل
جوها ما أشعلته
نار آهات الحيارى
ليس فيها من خليع
فيه ترنيح السكارى

---

[١٩] البيت الأخير لجلال الدين الرومي. م.

[٢٠] فيلسوف فرنسي.

[٢١] يقصد الشاعر في هذه الأبيات إلى ما يعوز الإفرنج من الإيمان وحرارة الوجدان. م.

حكماء:[٢٢]

لوك[٢٣]

فارغ الكأس أتى الروض شقيق[٢٤]   يملأ الأكواب من شمس الضحى

كنت[٢٥]

فطرة ضاءت شرابًا ولها   نجم كاس من حريم الأزل

برگسون

ما له من أزل خمر وكاس   ناره من حرقة القلب الشقيق

شعراء:

بروننگ[٢٦]

ليس في كاس الحياة البرد نارٌ   فبماء الخضِر[٢٧] كاسي أملأ

---

[٢٢] صور الشاعر كلًّا من هؤلاء الفلاسفة ببيت، وهذه الكنايات لا يدركها إدراكًا تامًّا إلا من عرف هؤلاء الفلاسفة وعرف خصائص كل منهم. م.

[٢٣] فيلسوف إنكليزي.

[٢٤] شقائق النعمان. م.

[٢٥] فيلسوف ألماني.

[٢٦] شاعر إنكليزي.

[٢٧] ماء الخضر عين الحياة التي شرب منها الخضر فخلد وحرمها إسكندر. م.

بايرن

منة للخضر لا تلهب صدري   فبماء القلب كاسي أملأ

غالب[٢٨]

لأزيد الخمر والصدر لهيبا   أصهر الدن وكأسي أملأ

جلال الدين الرومي

أين مزج من سنا جوهرها   من عروق الكرم كاسي أملأ

حانات الفرنج

أمس في حانة الفرنجة وهنا   راعني قول ماجن ذي خلاعةْ
قال ليست كنيسة تغشاها   في دُمًى للغناء تبغي سماعَهْ
إنها حانة الفرنج وفيها   كل ما ذمَّه البرية طاعَةْ
قد وزنَّا الأعمال فيها بوزن   غير ما حسَّن الأنام اصطناعَهْ
لا تزن وزن أمة ذات دين   رث ميزانهم فحاذر متاعَهْ
كل قبح يزيد جاهك حسن   كل حسن يضر فهو شناعَةْ
إن تفكرت فالحياة رياء   وبها الصدق قولة خداعةْ
إنما الصدق والوفاء حجاب   يحرم الساعي الغرير ارتفاعَهْ
شيخنا قال: موِّهن كل صفر   بنُضار وزَيِّفَنْ كل ساعَةْ
ذاك سر الحياة لا تُفْشِيَنَّهْ   تربحنْ في يديك كل بضاعَةْ

---

[٢٨] أسد الله غالب شاعر بالفارسية والأردية توفي سنة ١٨٦٨. وهذا البيت لغالب نفسه. م.

دقائق

بــذراتــنــا ثــورة تــهــدر　　بـأنـفـاسـنـا مـحـشـر مـضـمـر
لقد أفصح الخضر في الظلمات　　علـى حـين صـاحـبـه اسـكـنـدر:
عسير على الناس فهم الممات　　وفـهـم الـحـيـاة لـهـم أعـسـر

* * *

حبة الدر تعرف البحر لكن　　أي علـم لـهـا بـدور الـرحـيِّ؟

* * *

يــصــرُّ الــيــراع لإعــواز لــب[1]　　فـلـيـس لـمـرود كـحـل صـريـر

* * *

طفت بالبيت حاملًا أصنامي　　وأمام الأصنام «هو» قد جأرت[2]
وفـؤادي يـسـيـر حِـلـف طـلاب　　فـي طـريـق كـشـعـرة قـد مـررت

* * *

[1] يعني لأنه فارغ الجوف.
[2] صاح بلفظ «هو» يريد الله تعالى.

يقول ورد روض: عيش الربيع أحلى
وصبح مرج عندي من الجميع أحلى
من قبل جور كفٍّ لزينة تقطفني
موت بحضن نصر من الفروع أحلى[3]

***

يا صاحبي ذاك قول على الحياة دليل
النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل

***

إن تكن للعفو لست بأهل فإلى الأعداء فاقصد بحقدك
لا تُقم في الصدر مصنع حقد لا تَصُبَّ الخلَّ في كاس شُهدك
دع التسآل عن طبع دقيق يشق الشَّعر في الليل البهيم
لشاعرنا زجاجات رقاق تحطمهن أنفاس النسيم
أيبغي وصف حرب في حياة «حباب ضاع في لج عظيم؟»

***

امض في الدنيا كنهر في جبال واعرف الأغوار فيها والنجودا
أو مثال السيل فاجرف كل شيء لا تباليه هبوطًا أو صعودَا

***

قطوف الورد! لا تجزع لشوك كذاك الشوك من نفس الربيع

***

لا تبتغ الخضاب والتلوينا ليس الشباب سرقة السنينا

***

[3] وهذا مثال آخر من زيادة التفعيلات على المعهود في العربية ومن القافية المردوفة.

رأيت العشق يأبى كل وغد   كمَيْتِ الطير تأباه الصقور

* * *

يبور الشعر في الأسواق نقدًا   فلا خبز بفضة ياسمين

اللمعات

بدأت هذه المنظومة حينما قرأت منظومَتَيْ إقبال «أسرار خودي» و«رموز بي خودي» ونشرت الأبيات الأولى منها، ثم شغلت عن إتمامها فلبثت أعاود النظم فيها حينًا بعد حين.

فلما أشرفت ترجمة پيام مشرق على النهاية، عزمت على إتمام المنظومة فتمَّت بحمد الله.

وهي مهداة إلى الشاعر العظيم إقبال اعترافًا بفضله.

أيـهـا الـلـيـل، إلـيـك الـمـفـزع	كم حنت منك علينا أضلُعُ؟
كم خفينا في غيابات الدجى	ومـلأنـا الـلـيـل هـمًّـا وشـجَـا؟
كـم ألـفـت الـلـيـل أمًّـا حـانـيَـةْ	وكـرهـت الـنـجـم عـيـنًـا رانـيَـةْ؟
كـم ألـفـت الـلـيـل وحـشًـا راقـبَـا	من شعاع الصبح سهمًا صائبَا
كـم بـثـثـت الـلـيـل سـرًّا كـتـمَـا	فـوعـاه الـلـيـل عـنـي ألـمَـا؟
كـانـت الـظـلـمـاء لـوحًـا لـلألَـمْ	خـطـت الآهـات فـيـه كـالـقـلـم!
كـان لـي الـلـيـل مـدادًا فـنـفَـدْ	وطـغـى قـلـبـي بـمـد بـعـد مـد
جاشت الظلماء موجًا بعد موج	وغزالي الوجد فوجًا بعد فوج
فـنـيـت هـذي، وهـذا زاخـر	وانـجـلـت هـذي، وهـذا غـامـر
خلتني في الليل جمرًا سعرَا	ونـجـوم الـلـيـل مـنـه شـررًا

إرة قد وقدت في أضلعي[1] وسحاب هاطل من أدمعي؟

* * *

كنت سطرًا لم يفسره أحدْ خطه في غيبه الله الصمدْ
في ضميري كل معنى منبهم حرت في الإعراب عنه بالكلم
قد ثوى العالم في قلبي وما خط شيء فيه إلا الحرف «ما»[2]
جل قلبي أن أراه جام جَمّ[3] صور الأقطار فيه تنتظم
إنما الأقطار في قلبي العميد أحرف أوحت إلى معنى بعيد
رب معنًى في ضمير يكتم ليس في الناس عليه محرم[4]
وقلوب رمسها هذي الصدور أتراني مُسْمِعًا من في القبور؟[5]
أنا في الناس فصيح أعجم ناطق فيهم، كأني أبكم!
صمَّت الآذان عن هذا البيان ضاع في ضوضائهم هذا الأذان!
كيف يجدي القوم هذا النغم وعلى الآذان رانَ الصمم؟
كيف يجدي القدح في هذا الحجر؟ قلبه رخو خليٌّ من شرر
إنَّ خَفْقَ القلب قدح مجهد بعضه يورى، وبعض يصلد
كيف يجدي النفخ في هذا الرماد طفئ الجمر ولم تور الزناد!

* * *

يخرق الليل شعاع يخفق ثم يلتف عليه الغسق
كمنار البحر يخفى ويلوح فيه بين الغيب والومض وضوح

[1] الإرة: جبل النار.
[2] يعني: لم يكن العالم في قلبه إلا نفيًا.
[3] جام جم أو كاس جمشيد، في خرافات الفرس: كاس كانت ترى فيها الأقاليم السبعة.
[4] المحرم هنا الأمين على السر، كما يؤتمن المحرم من الأقارب على الحرمات.
[5] إشارة إلى الآية: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

أو يـراع الـلـيـل يـخـفـى ويـنـيـر — فـهـو سطـر مـن غـيـاب وحـضـور[٦]
تـارة يـبـدو طـريـقًـا لـحـبـا — قـامـت الأنـجـم فـيـه نـصـبـا
أو بـيـانًـا مـن بـيـاض وسـواد — كـبـيـاض الـطـرس يـعـلـوه الـمـداد
كـل لـون فـيـه حـرف مـفـصـح — أَلِّـفـت مـنـه سـطـور وضَّـح
ووراه تـــارة خـــطًّـــا أحـــمّ — وكـأن الـضـوء تـفـصـيـل الظُّلَمْ
فَـهْـو سـطـر مـن ظـلام أرقـط — أعـجـمـت مـعـنـاه تـلـك الـنـقـط
كـل لـون فـيـه حـرف أعـجـم — وحـوى الأحـرف سـطـر مـظـلـم[٧]

* * *

يـا لـبـيـنـي أوقـدي، طـال الـمـدى — أوقـدي عَـلَّ عـلـى الـنـار هـدى[٨]
أوقـدي يـا لُبْنُ قـد حـار الـدلـيـل — أوقـدي الـنـار لأبـنـاء الـسـبـيـل
ارفـعـي الـنـار وأذكـي جـمـرهـا — عَلَّ هـذا الـركـب يـعـشـو شـطـرهـا
شـرِّدي هـذا الـظـلام الـجـاثـمـا — أرشـدي هـذا الـفـراش الـهـائـمـا
حـبَّـذا الـنـار بـلـيـل تـوقـد — حـبَّـذا الـمـؤنـس هـذا الـمـوقـد؟
حـبَّـذا عـنـدك هـذا الـنـزل — لـو حـوانـا فـي سـفـار مـنـزل
مـا لـذا الـمـنـزل قـد سـار الـفـريـق — إنـمـا الـنـيـران أعـلام الـطـريـق
قـد تـرحَّـلـنـا مـن الـفـيـح الـعـمـيـق — لا تـبـالـي بـقـريـب أو سـحـيـق
رنَّ فـي آفـاقـنـا هـذا الـنـداء — فـأَمَمْنَا الـبـيـت يـحـدونـا الـرجـاء[٩]
قـد غـنـيـنـا عـن مـبـيـت ومـقـيـل — وعـن الأمـواه والـظـل الـظـلـيـل
وعـن الـرغـبـة والـخـوف سـوى — خـلـع الـنـعـلان[١٠] فـي وادي طـوى

[٦] هذا من قول إقبال: أي كرمك شبتاب سراپاي تو نوراست پرواز تويك سلسله غيب وحضور ست (يا يراعة الليل كلك نور، وطيرانك سلسلة من الغيبة والحضور).
[٧] حاصل المعنى في هذه الأبيات: أن النفس تارة تدرك إدراكًا واضحًا، وتارة تغم عليها الحقائق.
[٨] إشارة إلى الآية في قصة موسى: ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.
[٩] إشارة إلى الآية: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.
[١٠] النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف، والإشارة إلى الآية في قصة موسى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

نحن لا نرضى بنار الغسق   نحن لا نرضى بنور الشفق
نحن لا نرضى بنجم الصبح لاح   لا ولا نرضى تباشير الصباح
نحن لا نرضى نجومًا لامعَةْ   إنما نبغي شموسًا طالعَةْ
قد رحلنا بالجوى والحرق   وغنينا عن رسيم الأينُق
أين منَّا طائرات سبَّق   جمع الغرب لها والمشرق
نحن ركب في جواه توضع   لم يسعه في جواه موضع
كل حَرٍّ ضاق عنه الموطن   وانطوى دون مناه الزمن
كل طيار على متن الفكر   وعلى متن هيام لا يقر
طائر منه يغار الملك   طائر من تحته ذا الفلك
بارق في اللوح لا ينطفئ   كل غاياتٍ لديه مبدأ
زَوِّدِينا بهُيام ووجيب   زودي يا لُبن من هذا اللهيب

* * *

جال في الظلماء نور من نغَم   مزِّقت منه دياجير الظلم
أشعاع فيه صوت صائح   أم كلام منه نور لائح؟
أذن الركب لهذا المنشد   أطرب الناشد صوت المنشد[11]
سال في القلب مسيل المطر   ينبت الروح بسهب مقفر
أو خرير الماء من نبع زلال   بشَّر الغارق في بحر الرمال
رنَّ في نفسي رنين الجرس   صاح في أذني فقيد مبلس
طوت البيداء عنه السابلَةْ   وهداه الصوت شطر القافلَةْ
سبق القلبُ إليه الأذنا   كبلالٍ لصلاةٍ أذَّنَا
دار قلبي شطر هذا المطرب   دورة الإبرة شطر القُطُب
«غنِّنِي يا منيتي لحن النشور   ابركي يا ناقتي تم السرور
عدت يا عيدي إلينا مرحبَا   نعم ما روَّحت يا ريح الصبَا»[12]

[11] المنشد في الشطر الأول: منشد الشعر، وفي الثاني: الذي يدل على الضالة، والناشد: من ينشدها.
[12] جاء هذان البيتان بألفاظهما العربية في مثنوي جلال الدين.

***

حبَّذا الصوت فمن هذا البشير؟ ومَنِ الهاتف بالقلب الكسير؟
ومن المسعد في هذي الهموم؟ ومن البارق في هذي الغيوم؟
ومن الهابط في نور السما هاديًا في الأرض جيلًا مظلمَا؟
ومن الهادي إلى أرض الحبيب يعرف النهج وقد حار اللبيب؟
ومن السائق شطر الحرم وإلى الأصنام سير الأمم؟
ومن القارئ في بيت الصنم سورة الإخلاص في هذا النغم؟
ومن الحُرُّ الذي قد حطما من قيود الأسر هذا الأدهما؟
ومن الآبي على كل القيود ومن القاطع أغلال العبيد؟
ومن الباعث في ميت الأمم ثورة العزة من هذي الهمم؟
لاح كالغرة في هذا السواد بَصَّ كالجمرة في هذا الرماد
جرف الناس أتيٌّ مزبد ضل فيه المقتدي والمرشد
وطغى اللج عليه والتطم فرسًا كالصخر في هذا الخضم
عارض الموج على أغماره وطوى اللجَّ على تياره
سبح اللجُّ وبالشط استقر داعيًا والناس غرقى في النهر
يجرف التيار جسمًا جامدًا تقذف اللجة قلبًا خامدًا
إنَّ عزم الحر بحر مزبد جائش في الدهر لا يَتَّئِدُ
هذه الأقدار في تسيارها همم الأحرار في أسفارها[١٣]
ومن الشاعر يذكي القافيَةْ فهي نور وهي نار حاميَةْ؟
تقشعرُّ الأرض من أوزانِهِ ويهيم النجم من ألحانِهِ
وكأنَّ الدهر صوت كتبَا قد حكاه الشعر لحنًا مطربًا[١٤]
هو بالأشعار بحر فائض وهو للأزمان قلب نابض
حدثته الأرض عن أخبارها وحبته الزهرُ من أسرارها

[١٣] هذه: مبتدأ، وهمم: خبر.

[١٤] يعني أن الدهر أمام الشاعر كعلامات الموسيقى، والشعر قراءة هذه العلامات.

هو بالأمس خبير بغَدِ وهو اليوم نجيُّ الأبَدِ
كشف الله عن الغيب له فلسان الغيب يُملي قوله
عرف الشرق وراد المغربا فانجلى السر له ما كُذِّبَا
فرأى العلم سبيلًا للردى إذ رأى القلب خليًّا من هُدَى
صوت «إقبال» على شط المزار أسمع اليقظان في هذي الديار

* * *

أيها الداعي إلى سر «خودي» ليست انَّا بهداها نهتدي
فطرة الله التي أودعها كل نفس خاب مَن ضيَّعها
إنها سر الحياة الخالدَةْ دونها كل حياة هامدَةْ
إنها التيار مثل الكهرباء إن يعطل لمحة كان الفناء
إنما العيش جهاد لا يقر وركود الحي موت مستمر
من يضئ ذا السر في أعماقِهِ ضاقت الأفلاك عن آفاقِهِ
وتعالى عن حدود الأزمنَةْ وتجافى عن قيود الأمكنَةْ
شُعَلٌ في قوله تضطرم وطما في القلب بحر خضرم
مطلع في اليأس صبح الأمل نافخ في الموت روح العمل
أرأيت الغيث في أرضٍ موات منبتًا فيها أفانين النبات
همم الأحرار تحيي الرمما نفخة الأبرار تحيي الأمما
لا يصد الحر عمًّا يأمل أو يحد البر فيما يفعل
هو بالله العلي اتَّصَلَا جَلَّ ربي عن حدودٍ وعلا
من يضئ في قلبه إيمانَهْ ويُنِرْ في سبله وجدانَهْ
فهو بالله عليٌّ وقويّ وهو بالله غنيٌّ ووليّ
جاهد واللهِ في تيسيره تحسب الأقدار في تقديره
قائم بالحق بين البشَرِ ما له في باطل من وطَرِ
يمسك الدنيا ولا تمسكُهُ يملك الأرض ولا تملكُهُ
وترى الدنيا انطوت في كسبِهِ ليس منها ذرة في قلبِهِ
إنه القانون بالله سرى عادلًا في حكمه بين الورى
يسع الناس جميعًا همُّهُ في سبيل الله ماضٍ عزمُهُ

جاهد في الخير لا يَتَّئِدُ   عزمه في صدره يتقد
وفقير وغناه لا يحد   فقره استغناؤه عن كل يد
هو باللهِ وفي اللهِ غني   ضاق عن هذا الغنى كل ثري

صغار الهمم

إن في الناس قلوبًا جامدَةْ   جذوة الإقدام فيها خامدَةْ
همُّها ما يبتغيه الجسدُ   كل ما تهوى طعام وددُ
حددت آرابُها آفاقها   فحكت في ضيقها أخلاقها
لا تبالي حين تبغي أربَا   عمر الكون به أم خربَا
إنما قانونها أهواؤها   سُخِّرَتْ في نفعها آراؤها
وترى أهواءها تغلبها   كل حين في هوى يجذبها
وإلى الأرض تراها مخلدَةْ   لا ترى نحو المعالي مصعدَةْ
إنما آفاقها هذا البدن   إنما مبركها هذا العطن
إنما أحياؤها كالرمم   خامدات العزم موتى الهمم

العالم معبد

إنما العالم طُرًّا معبد   كل من أحسن، فيه يعبد
كل من أدلى بقول طيِّبِ   ينبت الخير كغيث صيِّبِ
كل من أحسن يومًا عملَا   كل من أحيا مواتًا هملَا
كل من في أرضه قد زرعَا   ليُقيت الناس والعجم معًا
كل من يغرس مخضرَّ الشجر   فيه للإنسان ظل وثمر
كل من ينبط بئرًا في السبيل   تنقع الظمآن من حَرِّ الغليل
كل من يبني بناءً حسنًا   كل من في صنعه قد اتقنَا
كل من أحدث علمًا للبشر   ينفع الناس ولم يقصد لشر
كل من أحدث فكرًا محكمَا   يبتغي للناس خيرًا عممَا

كل من جَدَّ وإن لم يجِدِ — لم يضع وقتًا بلهو ودد
كل من أثَّرَ فيها أثرَا — خالدًا للخير ما بين الورَى
كل من في دهره قد أجملَا — فكرة أو قولة أو عملَا
كلهم للهِ نعم العابدُ — كلهم للخير نعم القاصدُ
فاصطنع للخير فكرًا ويدًا — ولسانًا وابغِ في الخير يدًا

لا رهبانية في الإسلام

ليس منا من ثوى في صومَعَةْ — يحبس الأعمال والفكر مَعَهْ
ضاق نفسًا عن مجال وَسِعَا — فثوى في ضيقه قد خنعَا
ليس شيئًا أن تُرى معتزلَا — عابدًا تخشى البرايا وجلَا
إنما العابد من خاض الحياةْ — موضحًا فيه سبيلًا للنجاةْ
آخذًا بالعدل ما عنه حول — ذاكرًا مولاه في كل عمل
إنه بالحق موصولٌ ومَن — يتصل بالحق لا يخشَ الفتن
ثورة مضمرة في حلمِهِ — أن يفكر ظالم في ظلمِهِ
أرأيت الصقر في متن الرياح — يطلب الرزق بعزم وجناح
طائرًا في الجو يسمو عازمَا — لا يرى حول الدنايا حائمَا
يأكل الجوع ولا يرضى الجيف — لو يراه الجوع يومًا ما أسفّ
فإذا الجد رماه في الشَّرَكْ — لم يطق صبرًا عليه فهَلَكْ
ليس يحوي الحر يومًا شبك — فأسار الحر فيه مهلك
يا فتى هذا الجهاد الأكبر — عزمات الحر فيه تخبر
قلَّ في الناس عليه صابِرُ — ليس إلا الحر فيه ظافِرُ
يا أسير الوهم أقدم لا تبل — وامض فيمن صحَّ عزمًا واتكل

معنى التوكل

من يَنَمْ عن سعيه لا يتكل إنما التكلان سعي متصل
مقدِم في أمره المتكل واثق بالله فيما يأمل
عازم ماضٍ على خير سنن لا يبالي بعقاب أو محن[15]
أرأيت الطير في نور الصباح تطلب الرزق بعزم وجناح
إنها تخرج في كفِّ القدر مُقْدِمَاتٌ لا تبالي بالخطر
طالبات الرزق في كل رجَا تملأ الجو وثوقًا ورجَا
يا لها من أمل قد صورَا طائرًا يطلب رزقًا قدرَا
أرأيت العزم في شكل جناح خافقًا لا ينثني دون النجاح
لا يصد الطير خوف التهلكَةْ أو تبالي بطريق مهلكَةْ
ضرب المختار هذا مثلَا للذي يسعى عظيمًا أملَا[16]
أرأيت الطير في أوكارها راجيات رزقها في دارها؟
ثاويات تبتغي أرزاقها ليس تدري من إليها ساقها
من ونى في سعيه لم يتَّكِلْ إنه للوهم والعجز وُكِلْ
إنما التكلان عزم وعمل إنه الإقدام في ضوء الأمل
إنه الإعداد والعزم معَا إنه الحر إلى القصد سعى
إنه التقدير في سعي البشر هو عند الله من بعض القدر
همم الأحرار في إيمانِها سنن الخلَّاق في أكوانها
سنة الله التي لا تبدل ما لها كرَّ الليالي حول

---

[15] العقاب: جمع عقبة.

[16] جاء في الأثر: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرُزِقْتُم كما ترزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا.»

غفلة بعض المسلمين عن معنى التوكل

آه من لي بقلوب واعيَةْ   مُقْدِمَات في المعالي ساعِيَةْ
آه من يفقه هذا الكَلِمَا؟   آه من يدرك هذا النَّغَمَا؟
أيها المسلم ماذا قد عدا؟   كنت في الأرض جهادًا وهدى
آه للنور الذي قد طفئا   آه للقلب الذي قد صدئا
آه للنار التي تشتعل   فيضيء الأرض منها شعل
خمدت فالقلب بَرْدٌ وهمود   خمدت فالنفس عجز وركود
إن هذا القول زندٌ وحجر   ليت شعري هل لديه من شرر
إنني أضرم هذا الألما   علَّهُ في القلب يذكي ضرما
إنني أنفخ في هذا السواد   علَّ جمرًا محرقًا تحت الرماد
علني أذهب هذا الخبثا   علني أمحق هذا العبثا
إنني أبعث فيهم نغمي   علني أبعث ميت الهمم
إنني أمطر في أرض موات   علها تنبت ألوان النبات

الأمل

لا ترانا في جهاد نيأس   ليس من أمتنا من يئسوا
أشعل الإيمان في كل دجى   واقدح العزم إذا الهول دجَا
وارفعن في كل ليلٍ شُعَلَا   وابعثن من كل يأس أَمَلَا
وصِلِ القلب بخلَّاق الرجاء   واخلقن في كل حين ما تشاء
إنما الإنسان فكر وعمل   يصدع الظلماء في نور الأمل
أمل الإنسان في القلب ضياء   وهو في الكَفِّ جهاد ومضاء
إنه النار التي تشتعل   إنَّهُ النجم الذي لا يأفل
إن دجا باليأس ليل غيهب   يصدع الظلمة هذا الكوكب
هو وحْي الله يهدي عبدَهُ   ويريه في الدياجي قصدَهُ
هو نور الله في أفق النجاةْ   هو هدي الله في هذي الحياةْ
إنه القطب إليه ينزع   كل قلب وإليه يفزع

إبرة تهدي إلى قصد السبيل   تقصد القطب وعنه لا تميل
يا دليلًا هاديًا في كل وادْ   أنت سرُّ الله في كل فؤادْ
يقدح القلبُ إذا ما خَفَقَا   شررا منه منيرًا محرِقَا
فهو نور وهو نار يلذع   يوضح النهج وفيه يدفع
فَأْمُلِ الخير وصابِرْ لا تمل   إنما الدنيا رجاءٌ وعمل
وقضاء الله عون الآملين   وهو في عون الأباة العاملين
لا يرد الله قلبًا آملَا   لا يرد الله عبدًا عاملَا
رُبَّ عبدٍ مخلص قد أقسمَا   فأبر اللهُ منه القسمَا[17]
وجهاد العبد أولى أن يبر   إنه الفعل على القول أبر
إن عزم الحر فيه قسم   مضمر يعلمه من يعلم
قد تولَّى الله هذا المقسم   فدعاه في يقين يقسم

الوجدان السليم

ذلك الوجدان إن لم يصدأِ   من غشاوات الهوى أو يطفأ
أو تحجيه رياح عاتيَةْ   صرصر الأهواء فيها سافيَةْ
أو يجلله ظلام الغفلَةِ   أو يحجبه حجاب الشهوَةِ
أيقظ الوجدان يا من غفلا   فمضى يحيا حياة هملا
أيقظ الوجدان واسمع وحيَهُ   أيقظ الوجدان واتبع هديَهُ
إنه المرآة، إما صُقِلَا   تبصر العالم فيه مَثَلَا
اجلُه بالفكر والعلم معًا   واجلُه بالذِّكْرِ حتى يسطِعَا
لا تضع في السوق هذا الجوهرا   لا تطع من باع فيه واشترى
لا تضع في لغوهم هذي الحِكَمْ   لا تغُلْ ضوضاؤهم هذا النَّغَمْ
نحن في الدنيا حوانا مهمه   مجهل أعلامه تشتبه

[17] إشارة إلى ما جاء في الأثر: «رُبَّ أشعثَ أغبرَ لو أقسم على الله لأبرَّه.»

تقصد المنزل هذي القافلَةْ — في فيافٍ خاف فيها السابلَةْ
فـاتـبـعـن خِـرِّيـتَـهَـا لا تُـبْلِسِ — وأصخ فيها لصوت الجَرَسِ[18]
إنه الـوجدان فـي هذه الـفلاةْ — إنــه داعٍ يـنـادي لـلـنـجـاةْ
أرأيت الـفلك تسري مـاخرَةْ — فــي لـيـالٍ وبـحـارٍ زاخـرَةْ
تـهـتـدي فـيـهـا بـنـور بـارق — من منار في الدياجي خافق
تهتدي النهج على لمحاتِهِ — وتوقِّي الصخر من ومضاتِهِ
وهـدتـهـا إبـر لا تـغـفـل — قـاصـدات قـطـبـهـا لا تـعـدل
إنما الوجدان في بحر الحياةْ — إبرة القطب ومصباح النجاةْ

طغيان العقل على القلب

مـحـنـة لـلـنـاس هـذا الـزمـن — كـل إنــســان بــه مــمــتــحــن
كـل مـا تـبـصـر فـيـه فـتـن — فـتـن فـيـهـا تـحـار الـفـطـن
أطـلـق الإنـسـان مـن أغـلالِـهِ — سُـيِّـبَ الـشـيـطـان من أحـبـالِـهِ
جـرد الـعـالـم مـن أسـتـارِهِ — وانـبـرى يـكـشـف عـن أسـرارِهِ
وأجـال الـفـكـر فـي طـيـاتِـهِ — ومـضـى يـبـحـث فـي ذراتِـهِ
وأحـاط الأرض مـن أقـطـارِهَـا — ومـضـى يـبـحـث فـي أغـوارِهَـا
فـارغًـا فـي ظـهـرهـا أجـبـالَـهَـا — مـخـرجًـا من بطـنـهـا أثـقـالَـهَـا
طائرًا في اللوح من فوق السحاب — حيث لا يطمع صقر أو عقاب
طـاويًـا أقـطـارهـا لا يـغـتـرب — كـلـمـا يـسـمـو إلـيـه يـقـتـرب
يسمع الهمس بأقصى المغرب — من بأقصى الشرق فاسمع واعجب
ضـاقـت الأرض عـلـيـه فـانـتـحـى — في ذُرَى الأفلاك يبغي مسرَحَا

* * *

[18] جرس القافلة، وفيه إشارة إلى قول سعدي الشيرازي: ما زمنز مقصود من خبريم، أين قدرهست كه بانگ جرس ميآيد.

آه لـو أعـطـي قـلـبًـا خـافـقَـا　　مـثـلـمـا أُعْـطِـيَ عـقـلًا بـارقَـا
آه لـو يـعـمـر قـلـبًـا راحـمًـا　　مـثـلـمـا يـعـمـر عـقـلًا راجـمَـا
آه لـو أعـمـر عـيـنـا سـاجـمَـةْ　　مـثـلـمـا أعـمـل كـفًّـا حـاطِـمَـةْ
آه لـو هـذبـه إيـمـانُـهُ　　مـثـلـمـا مـكَّـنَـهُ عـرفـانُـهُ
آه لـو سـيـطـر فـي أهـوائِـهِ　　مـثـلـمـا سـيـطـر فـي أجـوائِـهِ
آه لـو لـم يُـعْـمِـهِ طـغـيـانُـهُ　　فـيـهـدَّمُ فـوقـه بـنـيـانُـهُ
لـيـتـه لـم تُـطْـغِـهِ أعـمـالُـهُ　　لـيـتـه لـم تُـعْـمِـهِ أمـوالُـهُ
لـيـتـه لـم تُـعْـشِـهِ أضـواؤُهُ　　وتـوقـر سـمـعـه ضـوضـاؤُهُ
آه لـو أن شـعـاع الـكـهـربـاء　　في ظلام الصدر منه قد أضاء
ويـلـه مـن مـاردٍ قـد دمـرَا　　مـا بـنـاه مـخـربًـا مـا عـمـرَا
لـيـتـه حـاط الـذي قـد شـيـدَا　　بـوئـام وسـلامٍ وهـدَى
لـيـتـه حـاط الـبـلاد الـزاهـرَةْ　　لـيـتـه صـان الـجـنـانَ الـنـاضـرَةْ

***

إن هـذا الـعـصـر روض مُـزْهِـرُ　　كـل غـصـن فـيـه نـامٍ مـثـمـرُ
نـضـرت فـيـه فـنـون الـزهـر　　أيـنـعـت فـيـه ضـروبُ الـثـمـر
آه لـكـن فـي مـهـب الـعـاصِـفَـةْ　　كـل حـيـن تـعـتـريـه جـائِـفَـةْ
صـرصـر تـأتـي عـلـيـه لا تـذَرْ　　تحطم الأغصان فيه والشجَرْ
يـخـرب الـبـسـتـان مـن قـد غَـرَسَـا　　يـهـدم الـبـنـيـان مـن قـد أَسَّـسَـا
كـل طـاغٍ يـدعـي الـبـسـتـان لَـهْ　　يـبـتـغـي الأشـجـار والـبـنـيـان لَـهْ
لـو تـآخَـوْا ورضُـوا بـالـمـعـدلَـةْ　　وجـنـوا فـي غـيـر بـغـي أكُـلَـهْ
لـو تـآخَـوْا واهـتـدُوا واسـتـثـمرُوا　　ثـم أنـمـى عـدلـهـم مـا دمـروا
لأووا مـنـه إلـى ظـل ظـلـيـل　　ورأوا فـي زهـرِهِ كـل جـمـيـل
وجـنـوا أثـمـارَهُ وانـتـفـعـوا　　ونـمـا بـسـتـانُـهـم فـاسـتـمـتـعـوا

***

فـتـعـالَـوْا نـنـظـر الـداءَ الـعَـصِـيّ　　ونـرى الأسـبـاب فـي الـداء الـدَّوِيّ
إن هذا الشعر لا يحصي العلَلْ　　إنـه يـعـيـا بـذا الأمـر الـجـلَـلْ

إنـه لـمـحـة عـيـن عـابِـرَةْ　　لـيـتـهـا كـف طـبـيـب مـاهِـرَةْ
إنـه نـفـثـة نـفـس شـاعـرَةْ　　لـيـتـهـا كـف حـكـيـم قـادرَةْ

البيت

مـعـبـد لـلـه مـا أطـهـرَهُ　　فـيـه سـر الـلـه مـا أظـهـرَهُ
روضـة يـنـبـت فـيـهـا الـخـلـق　　وتـرى الـحـق عـلـيـهـا يـشـرق
تـنـشـأ الـخـيـرات فـيـه وتـرب　　مـن رأى الـخـيـر لـه أم وأب!
أنـفـس فـيـه كـنـفـس واحـدَةْ　　ألـفـتـهـا فـي حـمـاهـا الـوالـدَةْ
بـل شـكـول مـثـلـث لـلـوالـد　　كـالـمـرايـا حـول وجـه واحـد
كـلـهـا حـب وإيـثـار فَـلَا　　حـسـد فـيـهـا ولا حـقـد وَلَا
فـأخٌ يـفـدِي أخَـاهُ جـاهـدَا　　وكلا الصنوين يفدي الوالِدَا
وتـرى الأم عـلـيـهـم حـانـيَـةْ　　تـسـهـر الـلـيـل إلـيـهـم رانـيَـةْ
وأبـوهـم فـي غُـدُوٍّ ورواحْ　　يبسط الحب عليهم والجنَاحْ
روضـة لـلـحـب فـيـهـا مـثـلَا　　كـل غـصـن بـأخـيـه اتـصـلَا
كـل خـيـر هـا هُـنـا مـنـبـعُـهُ　　كـل بِـرٍّ هـا هُـنـا مـطـلـعُـهُ
مـسـجـد يـعـبـد فـيـه الـوالـدان　　وهـمـا الـخـلاق فـيـه يـعـبـدان
يـعـبـد الـرحـمـن مـن قـد عـبـدا　　والـديـه وإلـى الـبـر اهـتـدى
فـإلـى تـوحـيـده مـن غـيـر بـيـنْ　　قـرن الـرحـمـن بـر الـوالـديـنْ
إن تـشـاءوا مـثـلًا لا يـدفـع　　بيِّنًا كالشمس نورًا يطلع[19]
فـاقـرءوا يـا قـومـنـا كـي تـشـهـدوا　　«وقـضـى ربـك ألا تـعـبـدوا»
«واعـبـدوا الـلـه» فـهـيـا فـاقـرءوا　　«قل تعالوا أتلُ» فيها النبأ[20]

[19] الآية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.
[20] الآيتان: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

أحكموا الأسرة من قرآنها وارفعوا بالدين من بنيانها
واعمروا البيت ببر ووفاء وسلام ووئام وإخاء
إن هذا البيت في نظم الأمم مثل بيت الشعر في نظم النغم
كل بيت ألفت آحادُهُ آزرت أسبابه أوتادُهُ
ونظام البيت من نظم الكَلِمْ كل لفظ بأخيه ينتَظِمْ
كل لفظ من حروف أُلِّفَا كل حرف بأخيه ائتلَفَا
ونظامًا واحدًا يبني القصيد ليس فيه من قصور أو مزيد
في قوافٍ ألفت أبياتها ورويٍّ ناظم أشتاتها
ومعانٍ بعد هذا غاليَةْ ترتقي الأنفس فيها عاليَةْ
هل رأيتم قَطُّ من شعر رفيع كل بيت فيه ذو معنى وضيع
كيف تُبنَى للمعالي أُمَمُ من بيوت جمعُها لا ينظمُ
من بيوت في خلاف وشقاق يؤذن البيت أخاه بالفراق
كل بيت فيه لفظ ثائر كل لفظ فيه حرف نافر
لا تقل فيها زحاف وعِلَلْ بل شذوذ وسِناد وخَلَلْ

* * *

ليت شعري ما أصاب المسجدا ما أصاب الخير فيه والهدى
لا أرى جمعًا لديه نظمَا لا ولا صفًّا لديه قوِّمَا
ما أحس اليوم ترتيل القُرَانْ لا ولا أسمع ترجيع الأَذَانْ
خرس المنبر عن أصواتِهِ عطل المحراب من آياتِهِ
ذهب العباد عنه قددا ومَضَوْا في كل أفق بِدَدا
غلب الملهى عليه والطرِيقْ ومضى في غَيِّهِ كل فرِيقْ

* * *

روضة البيت أراها ذاوِيَةْ كانت الأمس زهورًا زاهِيَةْ
صوَّحَتْ أعشابُها والشجر وذوت أوراقها والزهر
صدفت عنها عيون واقِيَةْ وحمتها الماء أيد ساقِيَةْ
غاب بستانِيُّهَا دون إيَابْ فطغى الشوك عليها والترَابْ

إنها يا قومنا إحدى الكُبَرْ — أنعموا التفكير فيها والنَّظَرْ
هي أصل الداء أو أصل الدواءْ — نعمة الأقوام فيها والشقَاءْ

* * *

اعمروا بالخير هذا المسجِدَا — وابتغوا الخيرات فيه أبَدَا[٢١]
اعمروا البيت وردوا والدَيهْ — واجعلوه حرمًا يؤوى إلَيهْ
نضروا الروضة من إروائها — وابتغوا النعمة في أفيائها
أرجعوا الطير إلى أوكانها — ليشب الولد في أحضانها
ألفوا الأحرف في كلماتها — وانظموا الأمة من أبياتها

تنافر الجماعة

إننا نبصر في كل مكان — حسرة الأنفس في هذا الزمان
من وجوهٍ مات فيها الخفر — وعيون حَارَ فيها النظر
يلعن الوجه أخاه نافرَا — يبغض الطرف أخاه ناظرَا
قطَّعوا من بينهم كل سبب — هجر الناس حياء وأدب
ثورة تبصرها كل طريق — يتجلى الهجر فيها والعقوق
ليست الأم بها أمًّا ترى — لا ولا الوالد فيها عززَا
لا ولا الأخت لها حرمتها — من أخيها وقَدت حسرتها
لا صغير قد رعى حق الكبير — أو كبير راحم ضعف الصغير
فترى في قبحها أفعالها — تسمع الألفاظ أصداء لها
تلك فيض من قلوب في نفور — تقدح النيران منها في الصدور
إنما الناسُ صلاح وفساد — بالتئامٍ أو شقاق وعناد
إنَّنَا نُبصِر آحادًا ولا — نبصر الحب بها متصلَا
إنها الأعداد في غير حساب — لم يؤلفها على النهج احتساب

٢١ المسجد هو الأسرة.

ومن الأعداد بُغض واختلاف ومن الأعداد حُبٌّ وائتلاف
ومن الأعداد حقد وشقاق ومن الأعداد رُحم ووِفَاق
فإذا سارت على غير سنن فهي بُغْضٌ وشِقَاقٌ وفِتَنْ
وإذا أَلَّفتها في قاعدَةْ فاستقامت في طريق واحدَةْ
فهْيَ نظم وائتلاف واطرادْ وحساب بالغ كل مرادْ
فانظروا ما النظم في أعدادنا وانظروا ما الجمع في آحادنا
انظروا هذه القلوب النافرَةْ واجمعوا هذه الوجوه الثائرَةْ
املأوا الأنفس خيرًا وهدَى واجمعوا بالحب هذا البددَا
اغسلوا بالحب هذا الدرَنَا أطفئوا بالود هذا الضغَنَا

* * *

ما ينال الحب يومًا بالهوى إنما الأهواء أسباب النوى
يجمع الحق نفوسَا شارِدَةْ إن للحق طريقًا واحِدَةْ
ليس إلا الحق في جمع القلوب ما سوى الحق إليه تستجيب
أرضعوها الحق في ألبانِهَا أشعروها الحق في أحضانِهَا
واجعلوه قبلة في كل حين لا تزيغوا عن شمال أو يمين
ومن الحق إلى الخير الطريق ليس إلا الحق للخير رفيق
ومن الخير إلى الحب المسير ومن الحب إلى الجمع المصير

* * *

لا يُرى للحق إلا مشرق كل حق من سناه يشرق
ليس للخيرات إلا منبع كل خير من جداه ينبع
إنما للحب نهر واحِدُ كل ينبوع إليه عائِدُ
منبع الحق هو الحق المبين بارئ بالحق كل العالمين
منبع الخير هو البر الرحيم بره في خلقه فيض عميم
منبع الحب هو الله العلي هو مولى للبرايا وولي
فأضيئوا النفس من إيمانها وانظروا الآيات من إحسانها
املأوا الأنفس من نور اليقين وانظروا إبداعها في كل حين

إنـمـا الإنـسـان مـن لـحـم ودم فـيـه قـلـب كـسـراج فـي ظُـلَـمْ
ذلـك الـلـحـم إلـى مـاء وطـيـن ذلـك الـنـور لـرب الـعـالـمـيـن
فـإذا أطـفـئ فـيـه ذا الـضـيـاء فـهْوَ وحش هَمُّهُ سفك الدماء
إن هـذا الـجـسـم ذو وزن وَحَـدّ وبـهـذا الـقـلـب كـون لا يُـحَـدّ
هالك من عاش في ضيق الجسد من يَعِشْ في وسعة القلب خلد
أنت في جسمك من طين وماءْ أو قـوام فـيـه لـحـم ودمـاءْ
أنت فـي الـروح حـيـاة وطـمـاح ورجــاء وجــهــاد وكــفــاح
أنت فـي قـلـبـك سِـرُّ الـعـالـمـين فـيـه أمـر الـلـه لـلـخـلـق مـبـيـن
لا يـحـد الـقـلـب فـي الآفـاق حَـدّ إنــه يــكــبــر عــن وزن وعَــدّ
أيـهـا الـغـافـل عـن سـر الإلَـهْ انظرن في القلب يوما لتراهْ
ضـاق عـن أمـر الإلـه الـعـالـم وحـواه الـقـلـب، هـذا الـخـاتـم
كل ما أدركت من معنى جميل كل ما أبصرت من أمر جليل
كـل مـا أوعـاه تـاريـخ الـبـشـر مــن جــلال وجــمــال وعــبــر
كـل مـا سـجـل عـن أخـيـارِهِ كــل مــا حــدث عــن أبــرارِهِ
هو نور الله في القلب الصغير أو تجلِّي اللهِ في الكون الكبير[٢٢]
هو نبض القلب في الدنيا انتشر هو خفق القلب يرمي بالشرر
إنـمـا الإيـمـان بـالـدنـيـا يـدورْ فـهـو نـار فـي دُجَـاهَـا وهْـو نـورْ
فـاجـعـلـوا مـنـه تـبـاشـيـر الـمـنـى وامـلأوا الآفـاق مـنـه بـالـسـنـى
ارفـعـوا الأنـفـس فـيـه صـاعـدَةْ ارفـعـوهـا عـن مـعـانٍ خـامـدَةْ
عـن مـتـاع وطـعـام وشـراب ومـعـانٍ كـلـهـا نـبـت الـتـراب
قـيـمـة الإنـسـان قـلـب لـلـعُـلَـى لا ريـاًش ومـتـاع لـلـبِـلَـى
كــل ســاع قــدره بــغــيــتــه وزنـه بـيـن الـورى مـنـيـتـه
أيـهـا الـقـانـع دودًا فـي تـراب حلقن في جوِّها مثل العقاب
أيـهـا الـسـادر فـي لـهـو ودد من لهذا الكون في يوم وغد
أنـقـذوا الإنـسـان مـن هـذا الـردى أبـصـر الإنـسـان يـا قـومـي هـوى

[٢٢] الكون الكبير: القلب.

***

أيـهـا الـمـسـلـم يـا مـن خُـلِـقَـا ... لـيـكـون الـحـق فـيـه خُـلُـقَـا
انهضنْ يا صاح بالعبء الثقيل ... أنت في الأرض عن الله وكيل
قد قضى الخلاق بالأمر إليك ... قـسـم الأرزاق يـومًـا بـيـديـك
سيطرن بالحق في هذي البلاد ... واحكمن بالعدل ما بين العباد
أنقذِ الإنسان من هذا الشقاء ... وأزل من أرضنا هذا العناء
املأ الأرض بحُبٍّ وصفاء ... وسلام ووداد وإخاء
واحكمنْ بالحق في أرجائها ... وانعمنْ بالأمن في أفيائها
واملأ الآفاق حقًّا وسنَا ... واملأن بالخير آفاق الدُّنَى
علم الإيمان والحق العلي ... علم الإيثار والزهد الغني
زهد من يملك آلاف الألوف ... وهي في عينيه لغو وزيوف
قولة في الحق أعلى عنده ... فعلة في الخير أغلى عنده
كل ما يمسك منها، درهم ... كل ما ينفق منها مغنم
هذه الأموال جمعًا يا بنيّ ... لا تساوي ذلة الحُرِّ الأَبِيّ
إنها اللعبة في عين الحكيم ... إنها الدرهم في كف الكريم
جوهرًا يحسب من لا يعرف ... وهي عند العارفين الصدف
إنما الجوهر قلب قد أضاءْ ... وسع الأرض جميعًا والسماءْ
لا يعاف الحُرُّ أكل الطيبات ... آخذًا في الأرض كل الثمرات
ربما استولى على أعدادها ... ربما أوفى على آمادها
آخذًا أو معطيًا لا يشره ... رابحًا أو خاسرًا لا يأبه
عَبَّدَ الدنيا ولا تستعبدُهْ ... فاكهًا في نعمة لا تفسدُهْ
حائمًا للرزق صقرًا طائرًا ... لا يربغ الرزاق فيها صاغرًا
فإذا شيم هوانًا فزعَا ... مثلما يفزع من قد لسعَا
واستمد العز من همتِهِ ... واستثار النار من عزمتِهِ
فإذا الماء لهيب ودخانْ ... وإذا الحلم ضراب وطعانْ
وإذا سد عليه كل باب ... فارق الدنيا إلى غير إياب

إن مـوت الـحـر فـي ذلـتـه　　وحـيـاة الـحـر فـي عـزتـه

* * *

قـال لـي شـيـخ وقـور ألـمـعَـيّ　　مـن بـنـي يـنـبـع شـهـم عـربِـيّ
كنت يومًا في عيون ونـخيل　　في القرى من ينبع النخل الجميل
ومـعـي مـن أهـل نَـجْـدٍ نَـفَـرُ　　اصـطـيـاد الـطـيـر فـيـهـم وَطَـرُ
وإذا صـقـر عـلـيـنـا حَـلَّـقَـا　　سـابـحًـا فـي جَـوِّهِ قـد خَـفَـقَـا
أسرع الرفقة في نصب الشَّرَكْ　　وسـمـانـى وضعوها في الشَّبَكْ
وهـوى فـانـقـض هـذا الأجـدل　　بل هـوى هـذا الـقـضـاء الـمـنـزل
فطوى سـقـطـيه هـذا الـمـهـلـك　　وثـوى فـي حـبـلـه يـرتـبـك
وأتـى الـصـيـاد لـلـطـيـر الأسـيـر　　عينه في اللوح لكن لا يطير
سـابـح الـجـو بـخـيـط عـلـقـا　　ذلـك الـخـفـاق فـيـه أخـفـقـا
ذلك الـصـيـاد في جو الـسـمـاء　　صـاده بـالـخـتـل صـيـاد الـقـضـاء
قـاهـر الـجـو بـعـزم وجـنـاح　　بدل الشُّبَّاك من متن الرياح
ضـاقـت الأجـواء عـنـه مـسـرحَـا　　كيف يرضى في إسار مطرحًا؟
ثـم قـال الـشـيـخ جـئـنـا نـنـظـر　　لـنـرى الأجـدل أنَّـى يـؤسـر
فـإذا دمـعـة عـيـن هـامـلَـةْ　　وإذا الـمـهـجـة فـيـهـا سـائـلَـةْ
ذا يسمى «الحر» من بين الصقور　　لا يطيق الأسر من بين الطيور[23]
فـكُـنِ الـصـقـر الأبـيَّ الـعـالِـيَـا　　وكُـنِ الـحُـرَّ الـكـريـم الآبِـيَـا
واحـذرنْ يـا حـر هـذي الـتـهـلـكَـةْ　　احذرن من خوض هذي المعركَةْ
إنــهــا مــعــركــة لــلأبــطــن　　ضل في غوغائها ذو الفطن
فـي وغـاهـا كـل حـزم ضـيـعـا　　غاب عنها العقل والقلب معًا
لا تـغـرنـك مـرايـا بـارقَـةْ　　وفـنـون وعـلـوم خـارقَـةْ
إنـهـا رأس بـلا قـلـب يـسـيـر　　إنـهـا هـرْج ومـرْج وسـعـيـر
قـد أضـلَّ الـغـي هـذي الأُمَـمَـا　　فـثـوى إبـلـيـس فـيـهـا حـكـمـا
فـدعـاهـا فـي ظـلام تـصـطـدمْ　　ورمـاهـا فـي ضـلال تـحـتـدمْ

[23] الحر نوع من الصقور قل أن يعيش بعد إمساكه.

الشيوعية

أحدث الدعوات في هذي الأمم تسلُك الإنسان في سلك الغنم
تَعِدُ الإنسان بالمرعى الخصيب فيه عشب ورُغاء ونبيب
تَعِدُ الإنسان أعشاب الربيع ثم عيش مثل ما عاش القطيع
يوعد المرعى ولا شيء له وعصا الراعي تريه أكله
ليس يرغو سربهم: أين المسير لا، ولا يثغو إلى أين المصير
ويتم الشِّبه فيه بالغنمْ قطعه عن منبع الخير العمم
كفره بالله والخبر وما فيه إنسان عن العجم سما
وضياع البيت منه والرحِم وحنان القلب من أخت وأم
كافر بالله لا بالوثن كافر بالسلم لا بالفتن
يبصر الظلمة عند الصنم عن ضياء الله والحق عمي
كل ما في البيت من وُد وحُبّ لا يساوي عنده مكيال حَبّ
كل ما يدعو أناس بالشعور لا يساوي عنده كف شعير
ذاكم السير وهذا المنتهى أنعموا التفكير يا أهل النهى

إقبال

بين اِلاقبال من سر الحياةْ وأزال الستر عن نور النجاةْ
بين اِلاقبال من سير الزمان وأفاض النور من هَدْيِ القُرَان
بث في النفس كلامًا من شرر منه عشق الحق في القلب استعر
فتقت نظراتُه كل حجاب فرأى الدوحة من تحت التراب
ضاقت الآفاق عن نظراتِهِ ضجت الأفلاك من أنَّاتِهِ
وصلته نفحة من رَبِّهِ فتجلى نوره في قَلْبِهِ
قد ثوى في قلبه كل الجهات واستوى في فكره ماضٍ وآت
سال في ألحانه دمع ودَمْ والتقى الماء عليها والضرَمْ

* * *

يا برود القلب خذ من نارِهِ فالحياة الحق في أشعارِهِ
يا موات القلب خُذْ من رَجْعِهِ[٢٤] يا جمود العين خذ من دَمْعِهِ
يا صغير الهم خذ من همتَهْ يا كليل العزم خذ من عزمتَهْ
يا أسير اليأس خذ آمالَهُ في دجى اليأس أَثِرْ أقوالَهُ
أيها المسلم صعِّد في السماءْ وابلغن في جوها أعلى العلاءْ
وخذ الإقدام منه والطماح وجناحًا قاهرًا هوج الرياح
ذا جلال الدين من خلف العصور قد أتى في شعره نار ونور[٢٥]
إنه الإسلام في عزتِهِ إنه الإيمان في قوتِهِ
إنه القرآن في أنواره إنه الفرقان في أسراره

***

بلِّغي يا ريح في شط النوى أدمعي قبرًا بلاهور ثوى
وامض يا برق بوجدي وهيامي أبلغن قبرًا بلاهور سلامي
إن إقبالًا بلاهور أقام رحمة الله عليه والسلام

دعاء

فالق الإصباح رب المشرقين باسط الليل ورب المغربين!
أنت في الصبح ضياء في جمال أنت في الليل ضياء في جلال
ناشر الشمس خضمًّا من ضياء طاوي الذرَّة شمسًا في خفاء
أنت نور في ظهور وجلاء أنت نور في حجاب وخفاء
يا جليًّا في دجى أستارِهِ يا خفيًّا في ضحى أنوارِهِ
يا أنيسًا في قلوب العارفين وحياة لقلوب الغافلين
يا ضياء العين في النور العممْ وضياء القلب في داجي الظلمْ

---

[٢٤] الرجع: المطر، كما جاء في القرآن.

[٢٥] مولانا جلال الدين الرومي والشاعر يعترف باقتدائه به.

قربك المؤنس في هذي القفار   هديك المنقذ في هذي البحار
ناظم الكون البليغ المبدعَا   محسننا مطلعه والمقطعَا
خلقك الألفاظ فيه وافيَةْ   أمرك الوزن له والقافيَةْ[26]
كل لفظ فيه نظَّار إليك   كل معنى فيه برهان عليك
منك هذا العقل، هذا الثائر   طالب إياك ساعٍ حائر
جاوز الأفلاك يسعى نحوكا   يكشف الأستار يبغي وجهكا
منك هذا القلب، هذا الخافق   في الدياجي منك نور بارق
ذاكر إياك راجٍ كل حين   خفقُه ذكر وشوق وحنين

* * *

اجعلن عقلي ضياءً ثاقبَا   يصدع الباطل حقًّا صائبَا
واشدُدَنْ فكري بصدق وسدَادْ   واحبُني التوفيق في كل مرادْ
واملأن قلبي بحُبٍّ وصفَاءْ   واحفظنْه من شقاق ومراءْ
وارفعنْ في الحق صوتي عالِيَا   وجَناني فيه عضبًا ماضِيَا
اجعلنْ وجهك قصدي لا سواهْ   هوِّنَنْ في عين قلبي ما عداهْ
امنح المسلم قلبًا خافقَا   واحبُه بالعلم عقلًا بارقَا
امنحنْه العقل والقلب السليمْ   واهدِهِ رَبِّ الصراط المستقيمْ
واجعلنْه في البرايا حَكَمَا   قاضيا بالعدل إمَّا حَكَمَا
اجعلنه قائدًا بين البشر   هاديًا للخير لا يسعى لشر

* * *

[26] في القرآن الكريم ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

أنقِذِ الإنسان من هذي الغمَمْ أنجينْ من بغيها هذي الأمَمْ
هدم الإنسان ما قد عمرا حينما أمَّر عقلًا كفرَا
فاهدِ بالإيمان عقلًا حائرَا واجعل القلب عليه آمرَا
أدرك الناس بحب ووئامْ إنك الداعي إلى دار السلام[٢٧]

السابع من رجب سنة ١٣٧٠ من الهجرة
في مدينة كراچي
ولله الحمد أولًا وآخرًا

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

[٢٧] في القرآن الكريم ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾.